جامعة المنصورة

كليـة الآداب

الحماســـة في شعـــر المعارضـــات في العصـر المملوكـــي الأول

إعـــداد

إبراهيم موسى إبراهيم سنجق

باحث لدرجة الدكتوراة بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة المنصورة

إشـــراف

الأستاذ الدكتور / أحمد حسين عبد الحليم سعفان

قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد الحادى و الخمسون – أغسطس ٢٠١٢

الحماسة في شعر المعارضات في العصر المملوكي الأول

إبراهيم موسى إبراهيم سنجق

تمهـــيد

يعد العصر المملوكي الأول عصر صدام ديني ، بسبب الخطرين الصليبي والمغولي اللذين كانا يحدقان بالدولة المملوكية في مصر ، لذا فقد أخذت هذه الدولة على عاتقها التصدي لهؤلاء الأعداء ، وأعلنت الجهاد عليهم .

وقد ألهبت مشاعر العديد من شعراء هذا العصر بطولات عدد من السلاطين والملوك والقادة الذين قادوا الجيوش ، وخاضوا المعارك الضارية ضد عدوهم سواء كان صليبيا أم مغوليا ، فنظم الشعراء أروع القصائد في بطولات الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون ، وابنيه الأشرف خليل بن قلاوون ، والملك الناصر محمد بن قلاوون ، وغيرهم من قادة هذه الدولة الذين تصدوا للخطرين الصليبي والمغولي .

ويعد شهاب الدين محمود الحلبي صاحب الباع الطويل في قصائد الحماسة هذه، فنراه وغيره من شعراء هذا العصر ، يتغنون بانتصارات هؤلاء الأبطال ، ويعارضون روميات شعراء العصر العباسي : المتنبي وأبي تمّام وأبي فراس ، وينسجون على منوال قصائدهم ؛ إذ أعجبوا بهؤلاء الشعراء الذين أشادوا بأبطال المعارك في وقتهم ، وصوّروا بطولاتهم وانتصاراتهم على الروم في الكثير من المعارك التي خاضوها . " فالشعراء في هذه الفترة نهلوا من ثقافة عربية واحدة ، وتأثروا بشعر الجهاد والثغور ، الذي تفتقت عنه شاعرية أبي تمّام والمتنبي ، وهذا التشابه في الأصول أدى إلى تشابه في الصور مع الاختلاف في بناء القصيدة وطريقة عرضها . أما طبيعة الشعر، فهو من الشعر الغنائي المتأثر بجو المعركة الواقعي الحار ، أو المتأثر

بأجواء المعارك في التاريخ ،وكلا النمطين يعتمد على محفوظه ، أو التعبير عن نفسه بأنماط وقوالب شعرية جاهزة" [١]

وكما توقف شعراء هذا العصر عند انتصارات صلاح الدين الأيوبي ، إذ أعجبوا أيّما إعجاب بقصيدة الرشيد بن بدر النابلسي التي صورت فتح بيت المقدس على يد البطل صلاح الدين الأيوبي ، فتهافت عليها الشعراء محاكاة ومعارضة .

وهكذا فإن شعراء الحماسة والحرب في هذا العصر تأثروا بشكل مباشر بالعصرين القريبين زمنيا منهم : العصر العباسي والعصر الأيوبي ، كما وجد شعراء هذا العصر في هذين العصرين مادة غزيرة ، ومعينا لا ينضب في الإشادة بانتصارات القادة ، وتسجيل انتصاراتهم على العدو ، فحذوا

حذو شعراء الحماسة والحرب في هذين العصرين ، وساروا على خطاهم ، وتأثروا بمعانيهم وألفاظهم وصورهم ، وذلك للتشابه الكبير بين عصرهم وبين هذين العصرين ، من حيث الواقع الحربي المعيش ، وطبيعة الصراع ، والمواقف المتشابهة .

ولم يسجل هذا البحث معارضات داخلية في موضوع الحماسة والحرب ، لكن بعض شعراء هذا العصر تأ ثروا ببعضهم البعض أثناء معارضاتهم قصائد شعراء سابقين .

وقبل البدء بالدراسة التطبيقية ، وعرض نماذج من شعر المعارضات في موضوع الحماسة والحرب لهذا العصر ، لا بدّ أن أبيّن أنّ مفهوم المعارضة الذي يقوم عليه

---

(١) د. عبد القادر أبو شريفة : صورة البطل المسلم في شعر الحروب الصليبية ، ص٦٦ ، البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٩١م .

هذا البحث ، يتمثل في اتفاق النصين المعارِض والمعارَض في الوزن والقافية والموضوع .

ويهدف هذا البحث إلى بيان الملامح المشتركة بين النصين، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ورصد مدى تأثر الشاعر المعارِض بالشاعر المعارَض، بالألفاظ والمعاني والتراكيب والصور ، كما يهدف أيضا إلى رصد ملامح الابتكار والتجديد لدى الشاعر المعارِض، ومدى قدرته على الإبداع والتغيير، والتحررمن إسار التبعية والتقليد للنص الأصلي .

الدراسة التطبيقية

بين شهاب الدين محمود الحلبي وأبي تمّام

تعتبر قصائد الحماسة والحرب لدى شهاب الدين محمود الحلبي علامة بارزة في أدب هذا العصر ، إذ واكب العديد من الوقائع والحروب التي خاضها القادة والسلاطين في هذا العصر ، من خلال نظم عدد من القصائد التي تؤرخ لهذه المعارك ، وتسجل انتصارات المماليك على العدوين الصليبي والمغولي.

ومن هذه القصائد ، قصيدته التي يمدح فيها السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، بمنا سبة فتحه مدينة عكا ، وانتصاره على الصليبيين ، وكان فتح عكا هذا نصرا حاسما ، أنهى الوجود الصليبي على ساحل بلاد الشام سنة ٦٩٠ هـ ، ومطلع قصيدته :

الحمدُ للهِ زالَت دوْلةُ الصّلبُ وعزَّ بالتّركِ دينُ المصطفى العَرَبِ [1]

([1]) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٤٠٦، باعتناء محمد الحجيري، الطبعة الثانية، يطلب من دار النشر فرانزشتايز شتوتغارت ، ١٩٩١م . وا بن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج١، ص٤١٠، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان (د.ت) . وا بن

يعارض فيها قصيدة أبي تمّام في فتح عمورية ، والتي مطلعها :

السّيفُ أصدقُ أنباءً منَ الكتُبِ في حَدِّهِ الحدُّ بيْنَ الجِدِ واللَعِب ِ [1]

وتكاد تتطابق القصيدتان من حيث الموضوع والظروف التاريخية ، والمواقف والرؤى التي أنتجت كلا من القصيدتين ؛ فقصيدة الشهاب الحلبي نظمت في فتح عكا، وقصيدة أبي تمّام نظمت في فتح عمورية ، وقصيدة الشهاب الحلبي تمتدح الأشرف خليل بن قلاوون الذي انتصر على الصليبيين ، وحقق نصرا حاسما في التاريخ ، قصيدة أبي تمام تمتدح الخليفة المعتصم الذي انتصر على الروم ، وفتح مدينة عمورية التي ظلت زمنا عصية على الملوك والقادة ، كما أنّ كلتي القصيدتين تجسد ذلك الصراع الديني المحتدم بين المسلمين وبين أعدائهم الروم من جهة ، والصليبيين من جهة أخرى .

وتتفق القصيدتان في الوزن الشعري ؛ إذ إنهما من بحر البسيط ، وفي حرف الروي الباء المكسورة ، وفي التصريع، هذا من حيث الإطار الخارجي ، أما من حيث الدراسة التحليلية لمضمون القصيدتين،

فإنهما يلتقيان في عدة صور ، منها :

أيبك الدواداري: كنز الدرر، ج٨، ص٣١٥، تحقيق أولرخ هارمان ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة ، ١٩٧١ .

(١) أبو تمام : شرح ديوانه للخطيب التبريزي ، ج١، ص ٣٢، قدم له راجي الأسمر، دار الكتاب العربي بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥م .

أولاً :صورة الفتح :

لقد بدا كلا الشاعرين مغتبطا بهذا الفتح ، منتشيا بهذا النصر، وبدا هذا واضحا من مطلع كل من القصيدتين ؛ فأبو تمام يمجّد السيف رمز القوة الذي أتى بهذا النصر ، يقول :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ في حدّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ

بيضُ الصَّفائِحِ لا سودُ الصّحائِفِ في متونهنَّ جلاءُ الشكِّ والرّيَبِ [1]

وشهاب الدين محمود الحلبي يظهر " الفرح والسرور على زوال دولة الصليبيين ، ورفعة المسلمين وظهور شأنهم . وهذا الأمل – كما يقول الشاعر– لم يكن المسلمون في السابق يحلمون به ، وها هو ذا الآن قد أصبح حقيقة واقعة يلمسها الجميع ." [2] يقول :

الحمدُ للهِ زالتْ دولةُ الصُّلُبِ وعزَّ بالتُّركِ دينُ المصطفى العربي

هذا الذي كانَتِ الآمالُ لَوْ طَلَبَتْ رُؤياهُ في النَّوْمِ لاستَحيَتْ منَ الطَّلَبِ [3]

وأبو تمام يصف فتح عمورية بـ" فتح الفتوح" لعظمته ، ويرى أنّ الشعراء والكتّاب والخطباء لا يستطيعون أن يوفوه حقه ، مهما تحدثوا عنه، يقول :

([1]) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص٣٢ .

([2]) د. محمد علي الهرفي : شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، ص٢٣٤، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

([3]) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ص٤٠٦ ، وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ص٤١٠–٤١١ ، وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص٣١٥– ٣١٦.

فتحُ الفتوحِ تعالى أن يُحيطَ بهِ نَظْمٌ منَ الشّعرِ أوْ نثرٌ منَ الخُطَبِ [١]

وأبوتمام أيضا ينادي اليوم الذي تمّ فيه فتح عمورية ، وقد تحققت فيه أماني المسلمين ، وارتفع شأنهم وانحط شأن الكفار ، يقول :

يا يَومَ وقعةِ عموريةَ انصرفتْ مِنكِ المُنى حُفَّلاً مَعسولَةَ الحلَبِ

أَبقيْتَ جَدَّ بني الإسلامِ في صَعَدٍ والمشركينَ ودارَ الشركِ في صَبَبِ [٢]

وينادي شهلب الدين محمود كذلك على اليوم الذي تمّ فيه فتح عكا ، الذي أنسى ما سبقه من فتوح لعظمته ، وأعجز الشعراء والخطباء عن التعبير عنه ، وهذا تناص مع المعنى الذي قدمه أبو تمام ،يقول الشهاب الحلبي :

يا يومَ عكا لَقدْ أنسَيْتَ ما سَبَقَتْ بهِ الفتوحُ وما قَدْ خُطّ من كُتُبِ

لمْ يبلغِ النّطقُ حَدَّ الشُّكرِ مِنكَ فَما عسى يَقومُ بهِ ذو الشِّعرِ والخُطَبِ [٣].

" ولدى الشاعرين كليهما بدا الفتح دينيا ، وكذلك النصر ، وهذا هو سر ازدواجية الأرض والسماء في تفاعلهما إزاء النصرين معا منذ تبلور الموقف عند أبي تمام"[٤]، يقول أبو تمام :

فَتحٌ تَفَتّحَ أبوابُ السّماءِ لهُ وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ [١]

---

(١) أبو تمام : شرح ديوانه، ج١ ،ص٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٥– ٣٦ .

(٣) د. صلاح الدين الصفدي الوافي بالوفيات ،ج١٣،ص٤٠٨. وابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات :ج١،ص٤١١– ٤١٢. وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ،ج٨ ،ص٣١٧ .

(٤) عبد الله التطاوي : المعارضات الشعرية ، ص١٥٢ ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ١٩٩٨م

"حيث بدا هنا موزعا عبر نفس المستويين الديني والدنيوي في تفاعلهما الآتي :"[٢].

فقرَّ عيناً بهذا الفتحِ وابتَهَجَتْ بِفتحِهِ الكعبَةُ الغرّاءُ في الحُجُبِ

وسارَ في الأرضِ سيْرَ الرّيحِ سُمعَتُهُ فالبَرُّ في طَرَبٍ والبَحرُفي حرَب [٣]

" بل نرى الشاعر يضيف أبعادا أكثر وضوحا وعمقا حتى حول سعادة رسول الله ﷺ بهذا النصر :"[٤]

وأشرفَ المصطفى الهادي البشيرُ على ما أسلَفَ الأَشرفُ السلطانُ من قرَبِ [٥]

وقد احتفى أبو تمام احتفاء " ظاهرا بأدوات القتال ، حيث اعتبرها أساسا لفلسفة القوة التي تبناها في مطلع القصيدة حتى جعلها خلاصة حكمته " .[٦] يقول :

إنّ الحِمامينِ من بيضٍ ومن سُمُرٍ دلوا الحياتَيْنِ من ماءٍ ومن عُشُبِ [٧]

" وهي هنا تسير – أيضا– في نفس المساق "[٨]، يقول الشهاب الحلبي :

---

(١) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص٣٥ .

(٢) عبد الله التطاوي : المعارضات الشعرية ، ص ١٥٢ .

(٣) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج١٣ ، ص٤٠٨ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١٢ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣١٧ .

(٤) عبد الله التطاوي : المعارضات الشعرية ، ص ١٥٢ .

(٥) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٣ ، ص٤٠٨ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ،ج١،ص٤١٢ وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣١٧ .

(٦) عبد الله التطاوي : المعارضات الشعرية ، ص ١٥١ .

(٧) أبُ تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص٤٣

(٨) عبد الله التطاوي : المعارضات الشعرية ، ص ١٥١ .

وأطلعَ اللهُ جيشَ النصرِ فابتدرَتْ طلائِعُ النصرِ بيْنَ السُّمرِ والقُضُب [١]

وعكا الحصينة تحتاج إلى تبني فلسفة القوة ، إذ لم يكن فتحها بالأمر اليسير ، يقول الدواداري : " وكان مدة حصار عكا ، حتى يسّر الله ، أربعة وأربعين يوما " [٢] ، وكشف شهاب الدين محمود

الحلبي " عن صعوبته ، إذ عدّ كل فتح بعده سهلا يسيرا ، وجعله ثأرا لصلاح الدين الأيوبي الذي سقطت عكا في زمانه ، يقول : " [٣]

كانت تخيّلُنا آمالُنا فنرى أنَّ التفكرّ فيها غايةُ العَجَبِ

ما بعدَ عكّا وقدْ لانَتْ عريكتُها لديكَ شيءٌ تلاقيهِ على تَعَبِ

فانهَض إلى الأرضِ فالدّنيا بأجمعها مدّ تْ إليكَ نواصيها بلا نَصَبِ

كَم قدْ دعتْ وهيَ في أسرالعِدا زَمَنا صِيدَ الملوكِ فلمْ تُسمَعْ ولَم تُجَبِ

أتَيْتَها يا صلاحَ الدّينِ معتقِدا بأنَّ داعي صلاحِ الدينِ لم يَخِبِ

أَسلتَ فيها كما سالتْ دماؤُهُمُ من قبلِ إحرازِها بَحْراً من الذهبِ

أدركْتَ ثأرَ صلاحِ الدينِ إذ غُصِبتْ منهُ لسرّ طواهُ اللهُ في اللقَبِ [١]

---

(١) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٤٠٨ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيلت ، ج١ ، ص٤١٢. وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر، ج٨ ،ص٣١٧ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص٣١١ .

(٣) د . رائد عبد الرحيم : صدى فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ في الشعر العربي ، ص٦٢ ، إربد للبحوث للبحوث والدراسات – مجلة علمية ،تصدر عن عمادة البحث العلمي في جامعة إربد الأهلية ، المجلد السادس ، العدد الأول ، إربد –الأردن ، ٢٠٠٣ م .

ثانياً : صورة المدينة (موضوع الفتح) :

لقد قدم لنا الشاعران صورتين متناقضتين للمدينة ، الأولى : صورة المدينة الحصينة المنيعة الآمنة قبل الفتح ، والثانية : صورة المدينة الخربة المدمرة بعد الفتح .

فقد وصف أبوتمام مدينة عمورية قبل الفتح بمثابة الأم لهؤلاء الروم تحتضنهم ، وهم مستعدون أن يفدوها بآبائهم وأمهاتهم ، وهي مدينة منيعة عصية ، استعصت على الملوك السابقين ، واصفا إياها بالفتاة البكر ، إذ لم تفتح هذه المدينة ، ولم تتعرض للهجوم قبل فتح المعتصم لها ، وهي منذ زمن الإسكندر المقدوني وهي عصية بعيدة المنال ، يقول :

أمٌّ لهم لو رَجوا أن تفتدى جعلوا فداءَها كلَّ أمّ منهُمُ وأبُ

وبَرْزَةُ الوجهِ قدْ أعيَتْ رياضتُها كسرى وصَدّتْ صدودا عن أبي كَرِب[٢]

بِكرٌ فما افتَرعتْها كفُّ حادثةٍ ولا ترقّت إليها هِمَّةُ النُّوَبِ

من قبلِ إسكندرٍ أو قبلَ ذلكَ قدْ شابَتْ نواصي الليالي وهي لمْ تَشِب [١]

---

(١) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٤٠٦ – ٤٠٩ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١١ – ٤١٢ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣١٦ – ٣١٨ .

(٢) هو عمرو بن تبان أسعد أبوكرب ، أحد ملوك اليمن ، كان مع أخيه " حسّان" في زحفه على العراق ، واتفق مع بعض القادة على قتل أخيه ، فقتله ، وولي ملك حمير ، ثمّ رجع إلى بلاده فنزل بغمدان ، وقتل الذين أشاروا عليه بقتل أخيه ، كانت مدّة ملكه ٦٣ سنة ، لم تعرف سنة ميلاده ولا سنة وفاته ، لكنّه كان معاصرا لجدّ امرئ القيس عمرو بن حِجر الكِنْدي . ينظر : خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج٥ ، ص٧٤ ، الطبعة الحادية عشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

وقد بلغت عمورية " من الحصانة ما يجعل من المستحيل فتحها إلا في خضوعها لقدر الله الذي يتجاوز كل الحدود " [٢]، يقول أبو تمام :

رمى بكَ اللهُ برجيها فهدّمها ولو رمى بكَ غيرُ اللهِ لم تُصبِ [٣]

وكان الروم قد حصّنوا مدينة عمورية ، وأحاطوها بعدد كبير من جنودهم حتى وثقوا من حصانتها ، يقول أبو تمام :

من بَعدِ ما أشبّوها واثقينَ بها مُفتاحُ بابِ المَعقِلِ الأشِبِ [٤]

أما الشهاب الحلبي فقد قدّم لمدينة عكا قبل الفتح صورة مشابهة لمدينة عمورية قبل فتحها ، وبدا تأثره

بأبي تمام واضحا ؛ حينما وصف قوتها واستعصاءها على الملوك وجيوشهم زمنا طويلا ، قبل أن يفتحها الأشرف خليل بن قلاوون ، يقول :

أُمُّ الحروبِ فكَم قدْ أنشأتْ فِتَناً شابَ الوليدُ بها هَوْلاً ولم تَشِبِ

كم رامَها ورماها قَبلَهُ مَلِكٌ جمُّ الجيوشِ فلمْ يَظفرْ ولم يُصِبِ [٥]

" ويعدد الشاعر شهاب الدين محمود الحلبي مظاهر تلك الحصانة ، فيجعلها متمثلة بأبراج عكا المنيعة ، وأسوارها القوية ، والأسلحة الفتّاكة المحيطة بها مثل السهام والرماح والمجانيق، هذا فضلا

---

(١) أبو تمام : شرح ديوانه ،ج١ ، ص٣٦ .

(٢) عبد الله التطاوي : المعارضات الشعرية ، ص ١٤٩ .

(٣) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص٤٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص٤٢ .

(٥) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص٤٠٧ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١١ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص٣١٦ .

عن شجعان الصليبيين ، الذين كانوا يذودون بكل شجاعة وبسالة وصبر ، ويتجلى ذلك في قوله مستوحيا صورة الفلك والشهب ." [1] :

سورانِ برّاً وبحراً حولَ ساحتِها داراً وأدناهما أنأى منَ القُطبُ

خرقاءُ أمنَع سورَيها وأحصنَها غُلبُ الرجالِ وأقواها على النُّوَبِ

مُصَفّحٌ بصِفاحٍ حَولَها أَكَمٌ من الرّماحِ وأبراجٌ من اليَلَبِ

مثلُ الغمائِمِ تُهدي من صواعقِها بالنَّبْلِ أضعافَ ما تُهدي منَ السُّحُبِ

كأنّما كلُّ برجٍ حولَهُ فَلَكٌ من المجانيقِ يرمي الأرضَ بالشُّهُب [2]

أما الصورة الثانية التي رسمها أبو تمام لمدينة عمورية بعد الفتح فمختلفة تماما عنها قبل الفتح ، فقد جلبت للروم الخطب العظيم بعد أن كانت مكانا آمنا لهم ، وأصبحت مدينة خربة ، هذا الخراب أبغض أهلها لكنّه أسرّ المسلمين الفاتحين والشاعر معا ، وخراب مدينة أنقرة أولا سرّع في خراب مدينة عمورية ، فكان هذا الخراب بمثابة عدوى الجرب لها ، وهذا الخراب والتدمير الذي حلّ بمدينة عمورية أجمل في عين فاتحها من جمال ديار ميّة العامرة في نظر عاشقها ذي الرّمة الشاعر الأموي ، كما تناثرت جثث الأبطال وسالت دماؤهم في أرجاء هذه المدينة ، يقول:

أتَتهمُ الكُربةُ السوداءُ سادرةً منها وكان اسمُها فرّاجةَ الكُرَبِ

سماجةً غَنيتْ منها العيونُ بها عن كلِّ حُسْنٍ بدا أو مَنظرٍ عَجَب

لمّا رأت أُختَها بالأمسِ قد خَرِبتْ كانَ الخرابُ لَها أعدى منَ الجَرَبِ

([1]) رائد عبد الرحيم : صدى فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ في الشعر العربي ، ص ٧٥ .

([2]) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج١٣ ، ص٤٠٧ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١١ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ،ج٨ ، ص٣١٦ .

ما رَبْعُ ميّةَ معموراً يُطيفُ بهِ غَيلانُ أبهى رُبىً من رَبْعِها الخَرِبِ

ولا الخدودُ وقدْ أدمينَ من خَجَلٍ أشهى إلى ناظري من خدِّها التّرِبِ

كَم بَيْنَ حيطانِها من فارسٍ بطلٍ قاني الذّوائبِ من آني دَمٍ سَرِبِ [١]

ووصف أبوتمام الحريق الذي شبّ بعمورية وأتى على الصخر والخشب معا ، بفعل ضراوة المعركة الدائرة في هذه المدينة ، إذ حولت ألسنة اللهب والنيران المشتعلة فيها ليل المدينة إلى نهار ، كما ظنّ البعض أنّ الشمس لم تغب عن هذه المدينة بسبب النيران المشتعلة ، وانتشر الدخان المتصاعد من أرض المعركة ، وحوّل نهارها إلى ليل دامس ، يقول :

لقدْ تَرَكْتَ أميرَ المؤمنينَ بها للنارِ يوماً ذليلَ الصّخرِ والخَشَبِ

غادَرْتَ فيها بَهيمَ الليلِ وهوَ ضُحىً يشلُهُ وَسْطَها صُبْحٌ منَ اللّهَبِ

حتّى كأنَّ جلابيبَ الدُّجى رَغِبتْ عن لَونِها وكأنَّ الشمسَ لم تَغِبِ

ضَوْءٌ منَ النّارِ والظلماء عاكِفَةٌ وظُلْمَةٌ منْ دُخانٍ في ضُحىً شَحِبِ

فالشّمسُ طالعةٌ من ذا وقدْ أفَلَتْ والشّمسُ واجِبَةٌ منْ ذا ولمْ تَجِبِ [٢]

ولم يكن مصير عكا أفضل حالا من مصير عمورية ؛ إذ غرقت في بحرين : بحر من النار، وبحر مائي حقيقي ، فهي إحدى مدن الساحل ، وقد تداعت أبراجها، وتعرّض أهلها للقتل بعد أن وقعت في أيدي الجيش المسلم ، ولم تستطع مجانيق الصليبيين أن تدافع عن هذه المدينة ، أو تدفع الجيش الزاحف نحوها ، يقول :

فأصبحَتْ وهيَ في بحرينِ ماثلةً ما بينَ مُضطرمٍ نارا ومُضطربِ

---

(١) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص٣٧ و٣٨ و٤٠ و٤١ .

(٢) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص٣٩– ٤٠ .

تسنّموها فلم يتركْ تسنُّمُهُم في ذلكَ الأفقِ بُرجاً غيرَ مُنقلِبِ

تسلّموها فلمْ تخلُ الرقابُ بها من فتكِ مُنتَقِمٍ أو كفِّ مُنتَهِبِ

أتوا حِماها فلمْ تدفعْ وقدْ وثَبوا عنها مجانيقُهُم شيئاً ولم تثِبِ [1]

ويوازي حريق عمورية تلك النار التي اشتعلت بمدينة عكا ، وأحرقت بروجها ودمرتها ، يقول الشهاب الحلبي :

وجالتِ النارُ في أرجائِها وَعَلَتْ فَأطفَأَتْ ما بصدرِ الدينِ من كرُبِ

أضحَتْ أبا لهبٍ تلكَ البروجُ وقدْ كانتْ بتَعليقِها " حمّالَةَ الحَطَبِ " [2]

وبعد أن تمّ فتح عكا يوم الجمعة ، وأعمل السيف في أهلها ، وسبيت نساؤهم ، يذكر الدواداري أنه " شرع في هدم أسوارها من أول يوم السبت صبيحة الفتح المبارك ، وأبدل الله الكفر بالإيمان ، وضرب الناقوس بصوت الأذان . وفي نهار الأحد تاسع عشرة وردت البشاير بتسليم مدينة صور ، وهروب الفرنج منها"[3] .

وفي نظر الشهاب الحلبي فإنّ صور وعكا توازيان أنقرة وعمورية ، وسرعة سقوط صور بيد المسلمين بعد فتح عكا ، يوازي سرعة سقوط عمورية بعد فتح أنقرة ، يقول الشهاب الحلبي :

وتمّت النّعمةُ العظمى وقدْ كمُلتْ بفتحِ صورَ بلا حَصْرٍ ولا نّصَبِ

أُختانِ في أنَّ كُلاً منهما جمَعَتْ صليبة الكفرِ لا أُختانِ في النّسَبِ

---

(١) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج١٣ ،ص٤٠٧ – ٤٠٨ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج١ ، ص٤١١ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ،ج٨ ،ص ٣١٧ .

(٢) المصادر السابقة : ص ٤١٠ ، ص٤١٣ ، ص٣١٩ .

(٣) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص٣١٠ .

" لمّا رأتْ أختها بالأمسِ قدْ خَرِبَتْ كانَ الخرابُ لها أعدى منَ الجَرَبِ "[١]

ويبدو واضحا تضمين البيت الثالث من قصيدة أبي تمام .

ثالثاً : صورة البطل الفاتح :

من البدهي أن تظهر في كل من القصيدتين صورة البطل المسلم ،الذي تمّ على يديه الفتح ، وإلحاق الهزيمة بالعدو .

فالمعتصم يتأهب لنداء المرأة المسلمة التي تعرّض لها الروم ، واستغاثت به ، ويهجر متعه ولذائذه ، ويشغل نفسه بالثغور التي تمكّن منها الروم ، يقول أبو تمام:

لبّيْتَ صوتاً زبطرياً هرَقْتَ لهُ كأسَ الكَرى ورُضابَ الخُرّدِ العُرُبِ

عداكَ حَرُّ الثغورِ المستضامةِ عنْ بَرْدِ الثغورِ وعن سَلسالِها الحَصِبِ [٢]

وكذلك الأمر بالنسبة للأشرف خليل بن قلاوون ممدوح الشهاب الحلبي ؛ إذ لم يلته وينشغل بملكه وبأمور الحكم ، بل كان صاحب همة وعزيمة ، عجز عنها الملوك والحكام السابقون ، يقول الشهاب الحلبي :

لمْ يُلهِهِ مُلكُهُ بل في أوائلِهِ نالَ الذي لم ينلْهُ الناسُ في الحِقَبِ

لمْ ترضَ همّتُهُ إلا الذي قعدتْ للعَجزِ عنهُ ملوكُ العُجمِ والعَرَبِ [٣]

---

(١) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ،ص ٤١٠ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات : ج١ ، ص٤١٣ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص٣١٩ – ٣٢٠ .

(٢) أبوتمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص ٤٣ – ٤٤ .

(٣) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج١٣ ، ص٤٠٧ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص٤١١ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ،ج٨ ، ص ٣١٦ .

والمعتصم هدفه من غزو الأعداء ، احتساب الأجر لا الكسب والغنيمة ، يقول أبو تمام :

هيهاتَ زُعزِعَتِ الأرضُ الوقورُ بهِ عنْ غَزوِ مُحتَسِبٍ لا غزوِ مُكتَسِب [1]

والأشرف خليل بن قلاوون يتقدم جيشه نحو الأعداء من أجل إعلاء دين الله ، لا طمعا بالمال والمغنم والملك ، يقول :

فَفاجَأتها جنودُ اللهِ يقدُمها غضبانُ للهِ لا للمُلكِ والنَّشَبِ [2]

وقد صوّر أبو تمام شجاعة ممدوحه الخليفة المعتصم في هذه القصيدة ، إذ إنه قادر على أن ينتصر على أعدائه بالرعب ، وبإمكانه أن يسد وحده مسدّ الجيش في القتال ، يقول :

لم يغزُ قوماً ولم ينهَدْ إلى بلَدٍ إلا تقدّمَهُ جيشٌ منَ الرُّعُبِ

لو لم يَقُدْ جَحْفَلاً يومَ الوغى لغدا من نفسِهِ وحْدَها في جَحْفَلٍ لَجِبِ [3]

ولأنّ المعتصم قائد مسلم ، هدفه إعلاء دين الله ، ولأنّ الله مؤيد وناصر له ، تمّ له الفتح ، وتهدّمت أبراج عمورية ، يقول أبو تمام :

تَدبيرُ مُعتَصِمٍ باللهِ مُنتَقِمٍ للهِ مُرتَقِبٍ في اللهِ مُرتَغِبِ

رمى بِكَ اللهُ برجَيها فهدّمها ولو رَمى بِكَ غيرُ اللهِ لم يُصِبِ [4]

([1]) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص٤٥ .

([2]) صلاح الدبن الصفدي : الوافي بالوفيات ،ج١٣ ، ص٤٠٧ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١١ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ،ج٨ ، ص ٣١٦ .

([3]) أبو تمام : شرح ديوانه ،ج١ ، ص٤٢ .

([4]) المصدر السابق ، ص ٤١ ، ٤٢ .

فشجاعة المعتصم ، وتأييد الله له لأنه قائد مسلم ، كانا عاملي النصر والفتح له ، وكانت النتيجة أن نال المعتصم الراحة والطمأنينة بعد الجهد العظيم ، والتعب المتواصل ، اللّذين بذلهما في معركة عمورية ، يقول :

بَصُرْتَ بالرّاحةِ الكُبرى فلم ترَها تُنالُ إلا على جِسْرٍ منَ التّعَبِ [١]

وما يوازي هذا ما ذكره الشهاب الحلبي عن الأشرف خليل بن قلاوون بعد فتح عكا ، إذ اجتاز الأشرف المهمة الصعبة ، وأصبح من اليسير عليه أن يفتح أي مكان في الأرض بعد فتح عكا ، يقول :

ما بعدَ عكا وقد لانت عَريكَتُها لدَيْكَ شيءٌ تُلاقيهِ على تَعَبِ

فانهَضْ إلى الأرضِ فالدّنيا بأجمَعِها مدَّتْ إِلَيْكَ نواصِيَها بِلا نَصَبِ [٢]

وقد صوّر الشهاب الحلبي عظمة ملك الأشرف خليل بن قلاوون ،التي شملت البر والبحر بمشيئة الله ، وأصبح من الملوك أصحاب السيادة ، والملك الواسع ، يقول :

فَاللهُ أعطاكَ مُلكَ البَرّ وابتَدَأتْ لكَ السَّعادةُ مُلْكَ البَحرِ فارتَقِبِ

عَلا بِكَ المُلكُ حتّى إنَّ قُبَّتَهُ على الثّريّا غَدَتْ مَمدودَةَ الطُّنُبِ [٣]

رابعا : صورة المعركة الدائرة بين الطرفين :

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٩ .

(٢) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٤٠٩ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١، ص٤١٢ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ٣١٨ .

(٣) المصادر السابقة ، ص٤١٠ ، ٤١٣ ، ٣٢٠ .

يمكن استجلاء صورة المعركة لدى أبي تمام من خلال صورة مدينة عمورية بعد الفتح ، وما حلّ فيها من خراب وقتل ، إضافة إلى الحريق الهائل الذي شبّ في المدينة .

أما الشهاب الحلبي ، فيصور المعركة الدائرة بين جيش الأشرف خليل بن قلاوون وبين الصليبيين ؛ إذ يصف الجيوش التي تقدمت نحو عكا بالسيول المنهمرة ، وقد تمّت محاصرة المدينة بالمجانيق التي نصبت حولها ، وبدأت هذه المجانيق تضرب جدران المدينة ، كما أخذ جيش الأشرف بإحداث ثقوب في الجدران حتى تتداعى وتسقط ، ومن ثم يدخل جيشه إلى المدينة ، وأخذ جيش الأشرف يضرب رقاب الأعداء بالسيوف ، فسالت دماؤهم ، وتلطخت الأسوار بهذه الدماء ، يقول الشهاب الحلبي :

وجِئتَها بجيوشٍ كالسيولِ على أمثالِها بيْنَ آجامٍ منَ القُضُبِ
وحُطتَها بالمجانيقِ التي وَقَفَتْ إزاء جُدرانها في جَحْفَلٍ لَجِبِ
مرفوعة نصَبوا أضعافَها فَغدا لِلْكَسرِ والحَطْمِ منها كلُّ مُنتَصِبِ
وَرُضتَها بِنقُوبٍ ذلَّلَتْ شَمَمَاً مِنها وأَبدَتْ مُحَيّاها بلا تَعَبِ
وغنَّتِ البيضُ في الأعناقِ فارتَقَصَتْ أبراجُها لَعِباً مِنهُنَّ باللُّعَبِ
وخلّقَتْ بالدَمِ الأسوارَ فانفَغَمَتْ طِيباً ولولا دِماءُ الخُبْثِ لم تَطِبِ[1]

خامساً : صورة العدو :

([1]) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٤٠٩ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١، ص٤١٣ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣١٩ .

لقد أبرز أبو تمام صورة قائد الروم في هذه القصيدة ؛ لتشكّل الجانب الأبرز من صورة العدو ، وبرزت صورة قائد الروم من خلال مشهدين :

الأول : مشهد الفزع الشديد عندما رأى الحرب حقيقة ماثلة أمامه ، فقدّم حينذاك المال للمعتصم ليتراجع عن قتاله ، لكنّ المعتصم غلبه بجيشه العظيم ، وضاقت الأرض على قائد الروم (توفلس) ، وأخذت تميد به فزعا من المعتصم ، يقول أبو تمام :

لمّا رأى الحربَ رأيَ العينِ توفِلِسٌ وَالحَربُ مُشتقَّةُ المَعنى منَ الحَرَبِ

غدا يصَرِّفُ بالأموالِ جِرْيَتَها فَعَزَّهُ البَحرُ ذو التيّارِ والحَدَبِ

هَيهاتَ زُعزِعَتِ الأرضُ الوقورُ بهِ عنْ غَزوِ مُحْتَسِبٍ لا غَزوِ مُكتَسِب [1]

الثاني : مشهد هروبه من المعركة وتخلّيه عن جيشه ، إذ ظلّت مشاعر الخوف تسيطر عليه أثناء هروبه ، وكان يسلك ما علا من الأرض أثناء هروبه ، وينظر وراءه ليتبيّن إذا كان من أحد يتبعه ، وكان يعدو عدو الظليم من سرعته ، تاركا وراءه جيشه يلاقي مصيره المشؤوم ، يقول أبو تمام :

أحذى قرابينَهُ صَرْفَ الرّدى ومَضى يَحتَثُّ أنجى مطاياهُ مِنَ الهَرَبِ

مُوكّلاً بيفاعِ الأَرضِ يَشرُفُهُ من خِفَّةِ الخَوفِ لا مِن خِفَّةِ الطّرَبِ

إن يَعدُ من حرّها عَدوَ الظّليمِ فَقَد أَوْسَعْتَ جاحِمَها من كَثرَةِ الحَطَبِ [2]

أما الشهاب الحلبي فقد تحدث عن مآل العدو الصليبي دون الحديث عن قائد الجيش الصليبي؛ فذكر أن لا خيار أمام هذا العدو بعد فتح عكا سوى الهرب ، يقول :

---

(١) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص ٤٤ – ٤٥

(٢) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص٤٦ .

لَمْ يَبقَ من بَعدِها لِلكفْرِمُذ خَرِبَتْ في البَرِّ والبَحرِ ما يُنجي سوى الهَرَبِ [1]

وإن كان (تيوفيل) قد ألجمه مشهد رماح جيش المعتصم ، فلاذ بالصمت كما يقول أبو تمام :

ولّى وقد ألجمَ الخَطّيُّ مَنطِقَهُ بِسَكتَةٍ تَحتَها الأحشاءُ في صَخَبِ [2]

فإنّ قادة الصليبيين تعطّلت حواسهم من المشاهد الحربية في تلك المعركة ، يقول الشهاب الحلبي :

كم أبرَزَتْ بَطَلاً كالطوّدِ قَدْ بَطَلَتْ حواسُهُ فغدا كالمَنزِلِ الخَرِبِ [3]

ويعرض لنا أبو تمام مشهد الدماء السخينة النازفة من فرسان الصليبيين ، وقد سالت وتلطخت بها جدران مدينة عمورية ، وقد تخضبت شعورهم بهذه الدماء لا بالحناء ، يقول :

كَم بينَ حيطانِها من فارِسٍ بَطَلٍ قاني الذّوائِبِ من آني دَمٍ سَرِبِ

بِسُنَّةِ السَّيْفِ والخَطّيِّ من دَمِهِ لا سُنَّةِ الدّينِ والإسلامِ مُختَضِبِ [4]

يقابل هذا المشهد عند الشهاب الحلبي ،صورة طريفة تتمثل في مشهد القتل والفتك الذي حلّ بالصليبيين في معركة عكا ، وبحر الدماء الذي غاصوا فيه ، فتخضبت سيقانهم بهذه الدماء ، وهوت الرماح في عيونهم الزرقاء ، واشتعلت هذه الرماح في

([1]) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٤٠٦ ، وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١، ص ٤١١ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣١٦ .

([2]) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص ٤٥ .

([3]) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٤٠٩ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ،ج١ ، ص ٤١٢ . وابن أيبك الدواداري: كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣١٨ .

([4]) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص ٣٨ .

أجسادهم ، فسالت منهم دماء ملتهبة ، وغدت أجسادهم أشبه بالحبب الذي يعلو كأس الخمرة وهم غارقون في بحردمائهم ، يقول :

وخاضَتِ البيضُ في بَحرِ الدماءِ وما أَبدَتْ منَ البيضِ إلا ساقَ مُختَضِبِ

وغاصَ زُرقُ القَنا في زُرقِ أعيُنِهِم كأَنَّها شَطَنٌ تهوي إلى قُلُبِ

تَوَقّدَتْ وهيَ غَرقى في دمائِهِمُ فزادَها الطّقحُ منها شدّةَ اللَّهَبِ

أَجرَتْ إلى البَحرِ بحراً من دمائِهِمُ فَراحَ كالرّاحِ إذ غرقاهُ كالحَبَب [١]

ويتوقف كل من الشاعرين عند مشهد سبي المسلمين نساء العدو ، فيؤكد أبو تمام أنه لولا قطع رقاب الأعداء ، ولولا السيوف القاطعة ، لما تمكّن المسلمون من الوصول إلى فتيات الروم العذارى الجميلات وسبيهن ، يقول :

كم نِيلَ تحْتَ سناها من سنا قَمَرٍ وَتَحْتَ عارِضِها من عارِضٍ شَنَبِ

كم كانَ في قَطعِ أَسبابِ الرّقابِ بها إلى المُخدَّرَةِ العذراءِ من سَبَبِ

كم أَحرَزَتْ قُضُبُ الهِندِيّ مُصلَتَةً تَهتَزُّ من قُضُبٍ تَهتَزُّ في كُثُب [٢]

كم أشار أبو تمام إلى أنّ جنود المسلمين أصبحوا جُنُبا ، بعد أن عاشروا سبايا الروم ، يقول :

تصرَّحَ الدّهرُ تَصريحَ الغَمامِ لها عن يَومِ هَيجاءَ منها طاهرٍ جُنُبِ [٣]

---

(١) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٣ ، ص ٤٠٨ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ،ج١، ص ٤١٢ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٨ ، ص ٣١٧ – ٣١٨ .

(٢) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص ٤٨ .

٣المصدر السابق ، ص ٤٠ .

وقد أعطى الشهاب الحلبي للسيوف الدور نفسه الذي أعطاها إياه أبو تمام ، إذ جعلها السبب في سبي نساء الصليبيين الجميلات ، بعد أن تطايرت رؤوس الصليبيين من جراء فعل هذه السيوف ، وأصبحت هذه النساء ملكا في أيدي المسلمين ، بعد أن عاشروهنّ ، يقول :

وَأَبرَزَتْ كلَّ خَوْدٍ كاعبٍ نَثَرَتْ لها الرؤوسَ وقَدْ زُفَّتْ بلا طَرَبِ

باتَتْ وقَدْ جاوَرَتْنا ناشِزاً وغَدَتْ طَوعَ الهَوى في يَدي جيرانها الجُنُبِ [1]

ويمكن القول ، إن الشهاب الحلبي في هذه المعارضة ، تواصل مع بائية أبي تمام، فهناك تطابق إلى حد كبير في المشاهد بين القصيدتين فقد بدا الشهاب الحلبي متأثرا ببعض ألفاظ ومعاني وتراكيب أبي تمام ، إلا أنه في الوقت ذاته حافظ على ذاتيته ، وأتى بصور مبتكرة من عنده ، وأتى بألفاظ وتراكيب خاصة به ، وقدّم معانيه الخاصة ، لذا فإنه لم يكرر ذات المشاهد التي تناولها أبو تمام كما وردت في قصيدة أبي تمام بتفاصيلها وجزئياتها ،بل نراه يضيف ويبتكرويجدد، فهو لم يقع في دائرة التبعية ، والتقليد النمطي حينما عارض أبا تمام .

([1]) صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٣ ، ص ٤١٠ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١٣ . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٨ ، ص ٣١٩ .

بين شهاب الدين محمود الحلبي وأبي فراس الحمداني

ويعارض شهاب الدين محمود الحلبي قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي نظمها وهو في أسر الروم ، ومطلعها :

أراكَ عَصيَّ الدَّمعِ شيمَتُكَ الصَّبْرُ أما لِلهوى نَهيٌ عَلَيْكَ ولا أمْرُ (١)

أما قصيدة الشهاب الحلبي المعارِضة ، فقد مدح بها الأشرف خليل بن قلاوون ، بمناسبة فتحه قلعة الروم الحصينة ، وانتصاره على المغول والأرمن ، ومطلعها :

لكَ الرّايةُ الصّفراءُ يَقدُمها النّصرُ فَمَن كَيْقُباذُ إن رآها وكَيخَسرو (٢)

---

(١) أبو فراس الحمداني : ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٢٣ ، قدّم له وبوبه وشرحه الدكتور علي بو ملحم ، الطبعة الأولى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٥ م . وكيقباذ هو علاء الدين كيقباذ بن قليج أرسلان أحد ملوك الروم، كان ملكا شهما شجاعا ، راجح العقل ، ذا عدل، كسر خوارزم شاه وعسكر الملك الكامل ، تزوج بابنة الملك العادل ، امتدت أيامه ، واتسعت ممالكه ، توفي سنة ٦٣٤هـ . ينظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٧،٢٩٤ ، تحقيق وتعليق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، دار ابن كثير – دمشق ، بيروت ، ١٩٩٢ م . والذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهيروالأعلام ، ج١٤، (٦٣١– ٦٦٠هـ) ، ص ١٥٣ ، حققه وضبط نصه وعلّق عليه الدكتور بشار عوّاد معروف ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٣ م . أما كيخسرو فهو ابن كيقباذ ، ويدعى كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو السلجوقي ملك الروم ، تسلطن بعد أبيه وهو شاب يلعب ، قصد فرقة من التتار فحاصرها وأخذ أموالاً كثيرة منها ، ثم هاجم التتار بلاده وهزموه ، توفي سنة ٦٤٣ هـ . ينظر : الذهبي : المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٤ ، وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١٤ .

وتتفق القصيدتان في الوزن الشعري ؛ إذ إنهما من بحر الطويل ، وفي حرف الروي الراء المضمومة ، وفي التصريع ، أما من حيث الغرض فقصيدة أبي فراس تنتمي إلى روملياته ، أي قصائده التي نظمها في الصراع مع الروم ، وقصيدة الشهاب الحلبي إحدى قصائد الحماسة والحرب، التي تصور صراع المسلمين مع المغول وحلفائهم آنذاك .

والشيء اللافت للنظر أنّ شهاب الدين محمود الحلبي بنى قصيدته بشكل مغاير لقصيدة أبي فراس ؛ إذ لا يوجد مشاهد أو لوحات متشابهة بين القصيدتين ، كما هو الحال في معارضته لقصيدة أبي تمام السابقة ، ومع ذلك فقد تأثر بمعاني وألفاظ أبي فراس بشكل طفيف في بعض الأبيات ، كما سيتبين من خلال الدراسة التحليلية ، كما اعتمد على ألفاظ القافية التي جاءت في قصيدة أبي فراس اعتمادا ملحوظا ، ويبدو ذلك من خلال تتبع أبيات كل من القصيدتين .

ويمكن القول إنّ قصيدة أبي فراس الحمداني تتكون من جزئين :

الأول : غزلي ، يتخلله الفخر بنفسه وبشجاعته ، إذ يتحدث في هذا القسم عن محبوبته ، وحبه لها ، وأصناف العذاب التي يواجهها من هذا الحب ، وعن وفائه وإخلاصه لها ، في حين لا تبالي المحبوبة به ، وكان قد حارب قومه من أجلها ، فهي تطمعه بالوصل المتعذر الوصول إليه ، وتفرّط بحبها له ، وكأي عاشق فهو يعاني من أولئك الوشاة الذين يسعون لإفساد العلاقة بين المحبين ،أضف إلى ذلك

أنّ المحبوبة تنكره متظاهرة بأنها لا تعرفه من خلال سؤالها من أنت ؟ فيجيبها بأنه الفتى المشهور الذي يعرفه أهل البادية وأهل الحاضرة ، والذي يقود الجيوش الجرّارة ، وينتصر على الأعداء ، ويسفك دماءهم ، وينثر جثثهم ؛ لتأكلها الذئاب والنسور .

ويسترسل في الحديث عن بأسه وشجاعته ، وخصاله الحميدة ؛ ليؤكد لمحبوبته أنه فتى مشهور ، لا يستطيع أحد أن ينكره ويتجاهله ، فيذكر أنه لا يغزو قوما دون أن ينذرهم ، فهو ليس غدّارا ، وأنه هاجم الحيّ ، واستولى عليه ، ولم يتعرض لنسائه بالسبي ، بل إنه أحسن لقاء تلك الفتاة ، التي جاءته تتبختر ، وطلبت منه أن يردّ أموال الحيّ التي غنمها ، فوهبها كل ما حازه الجيش ، وفارقها وهي مصونة مكرّمة ، فلا قيمة للمال عنده ؛ فهو ليس بحاجة إليه إذا لم يصن عرضه ، يقول :

أراكَ عصيَّ الدَّمعِ شيمَتُكَ الصَّبرُ أما لِلهوى نَهيٌ علَيكَ ولا أَمرُ

بَلى أنا مُشتاقٌ وعنديَ لوَعَةٌ ولكنَّ مِثلي لا يُذاعُ لَهُ سِرُّ

إذا اللَيْلُ أَضواني بَسَطْتُ يَدَ الهَوى وَأَذلَلْتُ دَمعاً من خَلائِقِهِ الكِبْرُ

تَكادُ تُضيءُ النّارَ بَيْنَ جَوانِحي إذا هِيَ أذكَتها الصَّبابَةُ والفِكْرُ

حَفِظْتُ وضَيَّعْتِ المَوَدَةَ بَيْنَنَا وأَحسَنُ من بَعضِ الوَفاءِ لَكِ العُذرُ

وَحارَبْتُ قَومي في هَواكِ وإنّهم وإيّايَ لولا حُبُّكِ الماءُ والخَمرُ

مُعَلَلّتي بالوَصلِ والمَوتِ دونَهُ إذا مِتُّ ظَمآنا فلا نَزَلَ القَطْرُ

فَإن يَكُ ما قالَ الوُشاةُ ولم يَكُنْ فَقَد يَهدمُ الإيمانُ ما شيَّدَ الكُفرُ

وَفَيْتُ وفي بَعضِ الوَفاءِ مَذَلّةٌ لإنسانَةٍ في الحَيِّ شيمَتُها الغَدر

تُسائِلُني من أنتَ ؟ وهيَ عَليمَةٌ وَهل بِفَتىً مِثلي على حالِهِ نُكرُ

فَقُلْتُ كَما شاءَتْ وشاءَ لَها الهَوى قَتيلُكِ ! قالَتْ : أَيُّهُم ؟ فَهُم كُثرُ

فَلا تُنكِريني يا ابنَةَ العَمِّ إنَّهُ لَيَعْرِفُ مَنْ أنكَرْتِهِ: البَدوُ والحَضْرُ

وإنّي لَجَرّارٌ لِكُلِّ كَتيبَةٍ مُعَوَّدَةٍ أن لا يُخِلَّ بِها النّصرُ

فَأَظمَأُ حتّى تَرتَوي البيضُ والقَنا وأسغبُ حتّى يَشبعَ الذّئبُ وَالنّسرُ

ولا أُصبِحُ الحيَّ الخَلوفَ بِغارَةٍ ولا الجيشَ ما لم تأتِهِ قَبْلِيَ النّذرُ

وَحَيٍّ رَدَدْتُ الخَيلَ حتّى مَلَكتُهُ هَزيما ورَدّتني البَراقعُ والخُمْرُ

وَساحِبَةِ الأذيالِ نَحوي لَقِيتُها فَلَمْ يَلقَها جافي اللّقاءِ ولا وَعْرُ

وَهَبْتُ لَها ما حازَهُ الجيشُ كُلّه وَرُحتُ وَلم يُكشَفْ لأبياتِها سِتْرُ

وما حاجَتي بالمالِ أبغي وفُورَهُ إذا لَم أفِزْ عِرضي فلا وَفَرَ الوَفْرُ[1]

الثاني : يتحدث فيه عن حادثة الأسر التي تعرّض لها ، يتخلله الفخر بنفسه ، والفخر بقبيلته ، فقد وقع أبو فراس في أسر الروم ، ويعزو سبب أسره إلى قضاء الله وقدره ، فقد كان يحمل السلاح هو وأصحابه ، ويذكر أنه فارس متمرس في القتال ، ليس حديث العهد به ، وفرسه مدرّبة ليست صغيرة غير مجرّبة ، وبعد أن وقع في الأسر، قال الآخرون : إنّه فضّل أن ينجو بنفسه أسيرا على الموت في ساحة الوغى ، فردّ عليهم أنّ الله لم يقدّر له الموت ، بل قدّر له الأسر ، ولو قدّر له الموت لمات ، وتظهر لامبالاته بالموت في سبيل تحقيق المجد ودفع الذّل عن نفسه ، يقول :

أُ سِرْتُ وما صَحْبي بِعُزْلٍ لدى الوَغى ولا فَرَسي مُهرٌ ولا رَبُّهُ غَمْرُ

ولكن إذا حُمَّ القضاءُ على امرِئٍ فَلَيسَ لَهُ بَرٌّ يَقيهِ ولا بَحرُ

يقولون لي : بِعْتَ السّلامَةَ بالرّدى فَقُلْتُ أما واللهِ ما نالَني خُسرُ

وهَل يَتَجافى عنيَ المَوْتُ ساعَةً إذا ما تَجافى عَنيَ الأَسرُوالضُّرُّ

هُوَ المَوْتُ فاختَرْ ما عَلا لكَ ذِكرُهُ فَلَم يَمُتِ الإنسانُ ما حَيِيَ الذّكرُ

ولا خَيْرَ في دَفعِ الرَّدى بَمَذَلّةٍ كَما رَدّها يوماً بِسَوْءَتِهِ عَمْرُو [1]

([1]) أبو فراس الحمداني : ديوانه ،ص٢٣-٢٥.

ويفخر أبو فراس بنفسه وبشجاعته ؛ فعندما منّاه الأعداء الروم ترك ثياب الحرب عليه حين أسر ، ذكر فتكه بهؤلاء الروم ، وإراقة دمائهم ، حتى تلطخت بزته العسكرية بهذه الدماء ، كما بيّن أن قومه سيفتقدونه وقت نزول الشدائد بهم ، أما إذا امتدّ به العمر، فسيذيق أؤلئك الروم طعناته المعروفة ، وضرباته بالسيوف والرّماح ، يقول :

يَمُنّونَ أن خَلوّا ثيابي وإنَّما عَلَيَّ ثيابٌ من دمائِهِمُ حُمْـرُ

وقائِمُ سيفٍ فيهِمُ اندَقَ نَصلُهُ وأعقابُ رُمحٍ فيهمُ حُطمّ الصَّـدرُ

سَيَذكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُمُ وفي الليللةِ الظلماءِ يُفتقَدُ البَدرُ

فَإن عِشتُ فالطَّعنُ الذي تَعرفونَهُ وتِلْكَ القَنا والبيضُ والضُّمَّرُ الشُّقُرُ[٢]

ثم يختم أبو فراس هذه القصيدة مفتخرا بقبيلته تغلب ، ذات الأمجاد التاريخية المعروفة ، يقول :

ونَحنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ بينَنا لَنا الصَّدرُ دونَ العالمينَ أو القَبرُ

أعَزُّ بني الدّنيا وأعلى ذوي العُلا وأَكرَمُ مَنْ فَوقَ التُّرابِ ولا فَخْرُ [٣]

أما قصيدة الشهاب الحلبي فتتكون من ستة أجزاء :

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥ . يشير إلى قصة عمرو بن العاص يوم كشف عن سوءته لعلي بن أبي طالب في معركة صفين حين بارزه . ينظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٨٨ ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، الجيزة ، ١٩٩٣ م .

(٢) أبو فراس الحمداني : ديوانه ، ص ٢٥ .

(٣) أبوفراس الحمداني : ديوانه ، ص ٢٦ .

الأول : يتحدث فيه الشاعرعن الراية الصفراء التي كان يتخذها الملك الأشرف خليل بن قلاوون أثناء قيادته الجيش ، والتي تجلب العزّة والكرامة ، فيتحدث الشهاب الحلبي عن قوة هذه الراية التي تهزم الشرك وأهله ، ويرى أنها راية بهية، تزيل ظلمة غبار المعركة من صفائها ، وهي متجهة صوب الأعداء ، تتبعها كتائب جيش الأشرف ، يقول :

لكَ الرّايةُ الصّفراءُ يَقدُمُها النَّصرُ فَمَن كَيقُبَاذُ إن رآها وَكَيْخَسرو

إذا خَفقَتْ في الأفقِ هدَّتْ بُنودُها هَوى الشِّركُ واستَعلى الهدى وانجلى الثّغرُ

وإنْ يَمَّمَتْ زُرقَ العِدا سارَ نَحْوَها كتايِبُ خُضْرٍ دَوْحُها البيضُ والسُّمرُ

كأنَّ مُثارَ النَّقعِ لَيْلٌ وخَفقُها بُروقٌ وأنْتَ البَدرُ والفَلَكُ الجِترُ[1]

الثاني : الإشادة بعزيمة الأشرف خليل بن قلاوون ، وخوف العدو منه ، إذ يذكر الشهاب الحلبي أنّ قلعة الروم التي لم تفتح طوال السنين السابقة ، تحقق فتحها على يدي الأشرف خليل بن قلاوون ، وأنّ الأشرف خليل بذل عزما كبيرا من أجلها حتّى تمكّن منها ، ويذكر الشهاب الحلبي أنّ الرعب يحاصر هؤلاء التتار في حصونهم وبلادهم ، رهبة من الأشرف خليل بن قلاوون ، وقد تحولت حصونهم إلى سجون لهم ، وأجسادهم إلى قبور لأرواحهم ، يقول :

فكَم وُطِئَتْ طوْعاً وكَرهاً معاقِلٌ مضى الدَّهرُ عنها وهيَ عانِسَةٌ بِكْرُ

---

(١) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر، ج٨ ، ص ٣٣٤ ، وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١٤ . ولفظة الجتر ، من خصائص السلطان . وهو مظلّة أي قبّة من الحرير الأصفر مزركشة بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان ، وهي من بقايا الدولة الفاطمية . ينظر : محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ص٥١ ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، ودار الفكر – دمشق ، ١٩٩٠ م .

بَذلْتَ لها عَزماً ولولا مهابَـةٌ كَسَتْها الحَيا جاءَتْكَ تَسعى ولا مَهرُ

فإن رُمتَ حِصنا سابَقَتْكَ كَتايِبٌ منَ الرُّعبِ أو جَيشاً يُقدِّمُهُ النَّصرُ

ففي كُلِّ قُطرٍ للعِدى وحصونِهم منَ الخَوفِ أسيافٌ تُجَرَّدُ أو حَصْرُ

ولا حِصنَ إلا وهوَ سِجنٌ لأهلِهِ ولا جَسَدٌ إلا لأرواحِهم قَبرُ[١]

ومما يتصل بالعدو، يذكر الشهاب الحلبي تحالف الأرمن سكان قلعة الروم مع المغول ، ومساعدتهم لهم ، وجعلوا مساندتهم لهم سرّا إلى أن انكشف أمرهم ، وقد اغترّ هؤلاء الأرمن بالمغول وقوتهم ، إلا أنهم لم يغنوا عنهم شيئا ، ففرّ كلا الفريقين من المعركة وانهزما ، يقول :

قَصَدْتَ حِمىً من قلعةِ الرومِ لم يُبَحْ لِغَيرِكَ أو غَرّتهُمُ المُغلُ فاغتَرّوا

فَوالوَهُمُ سرّاً لِيُخفوا أذاهُـمُ وفي آخرِ الأمرِاستَوى السِّرُّ والجَهرُ

وَما المُغلُ أكفاءً فَكَيفَ سِواهُمُ ولكِنَّهُ غَزْوٌ وَكُلُّهُمُ كُفْرُ

فَفَرّوا ومَن كانوا يُرَجّونَ نَصْرَهُم وَآلَوا لَقَدْ عَزّوهُمُ وَلَـقَدْ بَرّوا [٢]

ويذكر الدواداري أنّ أهل قلعة الروم الأرمن سكنوا " إلى مخادعة الجار ، وموادعة التتار ، ومماألأتهم على الإسلام بالنفس والمال ، ومساواتهم لهم حتى في الزّي والحال ، يمدّونهم بالهدايا والألطاف ، ويدلونهم على عورات الأطراف " [٣]

---

(١) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات : ج١ ، ص ٤١٤ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٥ . هذه الأبيات غير موجودة في فوات الوفيات.

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢٩ .

ويذكر صاحب شذرات الذهب أيضا أنّ أهل هذه القلعة " نصارى من تحت طاعة التتار " [1]

الثالث : وصف قلعة الروم ، فقد ذكر الشهاب الحلبي أنّ هذه القلعة منيعة حصينة، محاطة بالجبال ، شاهقة ، فهي تقرب من الغيوم بل تتخطاها ، وهي محصنة بالأنهار ، وارتفاعها يؤهلها لأن تكون وكرا لجوارح الطير مثل النسور ، التي تتخذ من الأماكن العالية بيتا لها ، ومساحة النهر المحيطة بها يهيء الحيتان كي ترتع فيها ، وهي مستقرة على صخور صلبة لا ينال منها الحديد ، وفيها مسالك وطرق وعرة ، لا يستطيع المرء تخيل مشيه فيها ، وإذا هبت الرياح فإنها تتعثر ، حتى صغار النمل لا تستطيع أن تواصل سيرها فيها ، يقول :

مُحَجَّبَةٌ بينَ الجبالِ كأَنَّها إذا ما تَبَدَّتْ في ضَمايرها سِرُّ

تَفاوَتَ مَرْقاها فَلِلحوتِ فيهما مَجالٌ وَللنّسرينِ بَيْنَهما وَكرُ

فَبَعضٌ رَسا حتّى عَلا الماءُ فَوقَهُ وَبَعضٌ سَما حتّى هما دونَهُ القَطرُ

يُحيطُ بها نَهرانِ تَبرُزُ فيهِما كما لاحَ يَوماً في قَلايِدِهِ النَّحْرُ

وَيَعصِمُها العَذبُ الفُراتُ وإنَّه لِتَحصينِها كالبَحرِ بَل دونَهُ البَحرُ

تُخاضُ بنونِ السُّحْبِ فيها كَأَنَّها إذا ما استَدارَتْ حَوْلَ أبراجِها نَهرُ

على هُضُبٍ صُمٍّ يُكلّمُ صَخرُها الـ حَديدَ وفيها عَنْ إجابَتِهِ وَقرُ

لَها طُرُقٌ كَالوَهْمِ أعيا سُلوكُها عَلى الفِكرِ حتّى ما يُخَيّلُها الفِكرُ

إذا خَطَرَتْ فيها الرّياحُ تَعَثّرَتْ أو الذّرُّ يَوْماً زلَّ عنْ مَتْنِها الذّرُّ [1]

([1]) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٧ ، ص٧٢٩ .

ويصف الدواداري هذه القلعة قائلا : " وهو حصن صاعد متحدّر ، بارز متستّر ، لا يطأ إليه السالك إلا على المحاجر ، ولا تنظره العيون حتى تبلغ القلوب الحناجر ..... قد أرخت عليه الجبال الشواهق ذوايبها ، ومدّت عليه الغمايم أطنابها ومضاربها ، وقد تنافست فيه الرواسي الرواسخ ، والشم الشوامخ ، وتقاسمته العناصر فهو في الرفعة والثبات مجاوز للفرات ، مشترك بين النار والهواء والماء والأرض . وقد امتدت الفرات من شرقها كالسيف في كف طالب ثأر ، واكتنفها من جهة الغرب نهر آخر مستدار نحوها كالستور ، وانعطف معها كالسور ، وفي قلّة قلّتها جبل يرد الطرف وهو كليل ، ويضّل النظر في تخيّل هضابه فلا يهتدى إلى تصورها بغير دليل ..... أما الطريق إليها فبزلّ الذّرّ عن متنها ويكلّ طرْف الطّرْف عن سلوك سهلها فضلا عن حَزْنها " (٢)

ويتطابق وصف الشهاب الحلبي قلعة الروم مع وصف الدواداري ، لذا فإنّ الشهاب الحلبي وصف القلعة ووصفا دقيقا يطابق الواقع ، دون أن يضفي على وصفه شيئا من المبالغة أو الخيال .

الرابع : وصف جيش الأشرف خليل بن قلاوون ، إذ يصف الشهاب الحلبي الجنود الأتراك في هذا الجيش بالأسود المتعودين على النصر ، يقاتلون في صفوف متراصة وتتزلزل الجبال من وقع ضرباتهم ، وهو جيش جرّار ، يقول :

ليوثٌ منَ الأتراكِ آجامُها القَنـا لَها كُلَّ يَوْمٍ في ذرى ظَفَرٍ ظفُرُ

---

(١) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١٤ – ٤١٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٩ – ٣٣٠ .

فَلا الرّيحُ تَسري بَينَهم لاشتِباكِها عَلَيهِم وَلا يَنْهَلُّ مِنْ فَوْقِهِم قَطْرُ

إذا ضَرَبوا صُمَّ الجِبالِ تَزَلْزَلَتْ وَأَصبَحَ سَهلا تَحْتَ خَيْلِهِمُ الوَعْرُ

وَلَو وَرَدَتْ ماءَ الفُراتِ خُيولُهُم لَقيلَ هُنا قَدْ كانَ فيما مَضى نَهْرُ [1]

الخامس : حصار القلعة والهجوم عليها

لقد طوّق جيش الأشرف خليل القلعة ، وأحاط جنده بها كما يحيط الخاتم بالإصبع ، أو الحزام بالخصر ، ونصبوا المجانيق عليها ، وبدأوا يضربون أسوارها بالصخور والنار، فأحدثت هذه الضربات ثغرات في أسوار القلعة ، فاشتعلت النيران فيها ، وتساقطت على الأرض ، يقول :

أداروا بها سوراً فَأضحَتْ كَخِنْصَرٍ لَدى خاتمٍ أو تَحْتَ منطِقِهِ خَصْرُ

وَأرخوا إليها مِن بحارِ أكُفّهِم سحابَ رَدىً لَمْ يَخلُ مِنْ قَطرِهِ قُطْرُ

كأنَّ المَجانيقَ التي قُمْنَ حَوْلَها رَواعِدُ سُخطٍ وَبْلُها النّارُ والصَّخْرُ

أقامَتْ صَلاةَ الحَربِ ليلاً صُخورُها فَأكثَرُها شَفْعٌ وَأقتلُها وترُ

وَدارَتْ بِها تِلكَ النُّقوبُ فَأشرَفَتْ وَلَيسَ عَلَيها في الذي فَعَلَتْ حِجرُ

فَأضحَتْ بِها كالصَّبِّ يُخفي غَرامَهُ حَذارِ أعاديهِ وفي قلبِهِ جَمْرُ

وَتَبَّتْ لَها النّيرانُ حَتّى تَمَزَّقَتْ وَباحَتْ بِما أَخفتْهُ وَانهَتَكَ السِّتْرُ [2]

([1]) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص٣٣٦ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات، ج١ ، ص٤١٥ .

([2]) المصدران السابقان ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ ، وص ٤١٥ . الأبيات الأربعة الأخيرة غير موجودة في فوات الوفيات

وقد تحدث الدواداري عن حصار المسلمين هذه القلعة ، قائلا : " وأقيمت المجانيق المنصورة أمامها، فأيقنوا بالعذاب الأليم ، وشاموا بروق الموت من عواصف أحجارها التي ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وساهموها صلاة الحرب ، فلسهامها الركوع ، ولبروجها السجود ، وللقلعة التسليم ." [١]

السادس : مصير العدو ، وتهنئة الأشرف خليل بن قلاوون بالنصر ، فالشهاب الحلبي يذكر أنّ هؤلاء المغول فرّوا من ميدان القتال ، لكنّهم عادوا بعد أن عفا عنهم الأشرف خليل ، ويلجأ الشهاب الحلبي " إلى تذكير الأرمن بهزيمة المغول في وقعة حمص سنة ٦٨٠ هـ ، حيث أصابهم القتل والأسر، وتلك الجراح التي أصيب بها الغزاة لن تندمل ، وإن اندملت فستبقى ذكراها عالقة تنغص عليهم حياتهم كلما تذكروها . وفي ذلك دعوة إلى الأرمن كي يأخذوا العبر ، ويراجعوا حساباتهم ، فقوم مثل المغول مثخنون بالجراح ومندحرون مرارا وتكرارا ، لا يصلحون أحلافا يعتمد عليهم في نصر." [٢]

وهكذا فقد فتح الأشرف خليل قلعة الروم عنوة كسائر فتوحاته السابقة ، " وفي آخر أبيات القصيدة يهنئ الشاعر الملك الأشرف خليل على ما سيحصل له من أجر وذكر حسن ، ويقول له : إنك نصرت دين المصطفى ﷺ ، وأعليت شأنه، ولذا فإنّ محمدا والمسيح سيرضيان عنك " [٣]

([١]) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣١ .

([٢]) رائد مصطفى حسن عبد الرحيم : صورة المغول في الشعر العربي – العصر المملوكي ، ص ١٠٩ ، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الآداب – قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية ، عام ١٩٩٧ .

([٣]) د. محمد علي الهرفي : شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، ص ٣٤.

ولا بأس إن غضب التكفور [١] ، " ويدعو الشاعر للملك الأشرف بطول البقاء ليحقق للدين الإسلامي العزة والكرامة ، ويعلي من شأن المسلمين ،ويجعل عصرهم الذي يعيشون فيه من أجمل العصور وأزهاها "[٢] ، يقول :

فَلاذوا بذيلِ العفوِ مِنكَ ولَمْ يُخِبْ رَجاهُم وَلَو لَم يَستبِنْ قَصدَهُم مَكرُ

أَمَرْتَ اقتِداراً مِنكَ بالكَفِّ عَنهُمُ لِئلا يُرى في غَدرِهِم لَهُمُ عُذرُ

فَراموا بِهِ أمرَينِ : تَستيرَ ما هَوى منَ السِّترِ أو عَودَ التّتارِ وقَد فَرّوا

أَلَم يَسمَعوا إذ لَم يَرَوا حالَ مُغلِهِم بِجِمصٍ وَقَد أفناهُمُ القتلُ والأَسرُ

إذا اندَمَلَتْ تِلكَ الجِراحُ فَإنّهم متى ذكروا ما مَرَّ يُنغِصُها الذكرُ

وأحرَزْتَها بالسَّيفِ قَسراً وهكذا فتُوحُكَ فيما قَد مَضى كُلُّهُ قَسرُ

فيا أَشرفَ الأملاكِ بُشراكَ غَزْوَةٌ تَحَصَّلَ مِنها الفَتحُ والذِكرُ والأجرُ

لِيَهنِكَ عِندَ المُصطَفى أنَّ دينَـهُ تَوالى بِهِ في بِرِّ دَولَتِكَ النَّصـرُ

وَبُشراكَ أَرْضَيْتَ المسيحَ وأحمدا وَإن غَضِبَ التَّكفورُ في ذاكَ والكُفرُ

وَدُمْ وَابقَ للدّنيا لِيُحيا بِكَ الهُدى وَيُزهى على ماضي العصورِ بِكَ العَصْرُ [٣]

---

(١) بالأرمنية تاكفور لقب معناه ملك في اللغة الأرمنية ، ويطلقه العرب على ملوك الأرمن ، ينظر : رينهارت دوزي : تكملة المعاجم العربية ، مادة " تكفور" ج٢ ، ص٥٥ ، ترجمة محمد سليم النعيمي ، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م .

(٢) د. محمد علي الهرفي : شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، ص ٣٤٠ .

(٣) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٧ – ٣٣٨ . الأبيات غير موجودة في فوات الوفيات عدا البيت السادس .

ومع أن قصيدة الشهاب الحلبي مغايرة تماما لقصيدة أبي فراس النموذج، من حيث الأفكار والمعاني ، – مع أنه يعارضها – إلّا أنّ الشهاب الحلبي تأثر بأبي فراس في غير موطن ، من ذلك أنّ أبا فراس يذكر أنّ أعداءه ينظرون إليه نظرة المعادي المُبغض عندما ينزل في أرضهم لقتالهم ، يقول :

وإنّي لَنَزّالٌ بكُلِّ مَخوفَةٍ كثيرٌ إلى نُزّالِها النَّظَرُ الشَّزْرُ [١]

فبأتي الشهاب الحلبي من بعد أبي فراس ليتحدث عن نبال جند الأشرف ونظراتهم المعادية المبغضة للمغول ، يقول :

تَرى المَوْتَ مَعقوداً بِهُدبِ نِبالِهِم إذا ما رَماها القَوسُ والنَّظرُ الشَّزْرُ [٢]

وإذا كان أبو فراس يرى أنّ المهر الغالي رخيص عندما يقدّم للمرأة الحسناء كما يقول :

تَهونُ عَلَيْنا في المعالي نفوسُنا وَمَنْ خَطَبَ الحَسناءَ لَم يَغلها المَهرُ [٣]

فإنّ الشهاب الحلبي يعدّ المهر المقدّم للحرب ببذل الأنفس مهرا رخيصا كما يقول:

عيونٌ إذا الحَربُ العَوانُ تَعَرَّضَتْ لِخُطّابها بالنقسِ لَم يَغلها المَهرُ [٤]

ويذكر أبو فراس أنّ محبوبته تسمع للواشين الذين يسعون لإفساد العلاقة بين المحبين ، أما هو فمغلق أذنيه عن أقوال هؤلاء الوشاة ، يقول :

---

(١) أبو فراس الحمداني : ديوانه ، ص ٢٤ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٦ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١٥ .

(٣) أبو فراس الحمداني : ديوانه ، ص ٢٦ .

(٤) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٦ .

تروغُ إلى الواشينَ فيَّ وإنَّ لي لأذنا بها عَن كُلِّ واشيةٍ وَقْرُ [١]

فيأتي الشهاب الحلبي ليذكر صلابة صخر قلعة الروم الذي لا يستجيب للحديد الذي يُقذف به للنيل من مناعة القلعة ، يقول :

على هُضُبٍ صُمٍّ يُكلِّمُ صَخرَها الـ حديدُ وفيها عَن إجابتِهِ وَقْرُ [٢]

وإذا كان أبوفراس يرى أنّ العشق جسر موصل إلى المرض ، وسوء الحال كما يقول :

وما كانَ للأحزانِ لولاكِ مَسلكٌ إلى القلبِ لكنّ الهوى لِلبلى جِسر [٣]

فإنّ الشهاب الحلبي يرى أنّ قلعة الروم العظيمة التي فتحها الأشرف خليل بن قلاوون جسر موصل إلى غيره من الفتوحات التي تنتظره ، يقول :

وما قَلْعةُ الرّومِ التي حُزْتَ فَتحَها وإنْ عَظُمَتْ إلا إلى غَيْرِها جِسرُ [٤]

ويبدو من استعراض هذه الأمثلة أنّ الشهاب الحلبي ينقل المعنى الغزلي لدى أبي فراس ، ويحوله إلى معنى حربي يصبّ في موضوع قصيدته هذه ، وقد أشار ابن

---

(١) أبوفراس الحمداني : ديوانه ، ص ٢٣ .

٢ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٦ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١٤ .

(٣) أبو فراس الحمداني : ديوانه ، ص ٢٤ .

(٤) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٣٣٥ . وابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٤١٤ .

رشيق القيرواني إلى قضية النقل والتصرف بالمعاني ، وضرب أمثلة عديدة عليها في كتابه " قراضة الذهب " [١]

وهكذا فإنّ الشهاب الحلبي في معارضته هذه ، لم يلتزم الحافر على الحافر ، ولم يتتبع قصيدة أبي فراس بيتا بيتا ، ويتكئ على ألفاظه ومعانيه ، إنّما أعجب بوزن وقافية قصيدة أبي فراس فأراد أن يعارضها ، لكنّه أراد أن يتميز ويبدع في مجال المعارضة ، وفعلا كان له ذلك في هذه القصيدة ، فمعاني قصيدته وأفكارها مختلفة تماما عن معاني وأفكار قصيدة أبي فراس ، وإن تأثر به تأثرا طفيفا في بعض الأبيات كما أوضحت .

واعتمد كذلك على ألفاظ القافية كما بيّنت في بداية التحليل لهذا النموذج ، فقد تحرر من إسار التبعية للقصيدة النموذج ، وقدّم للباحثين والنقّاد نموذجا رائعا في مجال المعارضة .

---

(١) ينظر : ا بن رشيق القيرواني : قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، ص ٦٧ – ٧٥ ، تحقيق د. منيف موسى ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني – بيروت ، ١٩٩١ م .

معارضات قصيدة الرشيد بن بدر النابلسي

لقد أعجب بعض شعراء هذا العصر أيّما إعجاب بقصيدة الرشيد بن بدر النابلسي، التي نظمها بمناسبة الفتح القدسي الذي تمّ على يد صلاح الدين الأيوبي ، إذ تمكّن من فتح بيت المقدس ، وهزيمة الصليبيين سنة ٥٨٣هـ ، ومطلع قصيدته :

هذا الذي كانتِ الآمالُ تَنتَظرُ فَليوفِ للهِ أقوامٌ بما نَذَروا [١]

فعارضها أكثر من شاعر، ويبدو أنّ معارضاتهم لهذه القصيدة تنبع من إعجابهم بالمناسبة العظيمة التي نظمت فيها هذه القصيدة ، وهي تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، ولأنها نظمت في بطل تاريخي مسلم ، حقّق شهرة تاريخية لا نظير لها ، ولأنها قيلت في عصر صدام ديني مع الصليبيين ، توالت فيه الفتوحات والانتصارات والمعارك الحاسمة ، وهو العصر الأقرب زمنيا إلى الدولة المملوكية، ولأنّ ملوك وقادة هذا العصر الذين واجهوا العدوين المغولي والصليبي وانتصروا عليهم ، يذكرونهم بالبطل صلاح الدين ، وبعصره الزاهي .

لذا فعارضها محمد البزّاز المنبجي في قصيدة مدح بها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك بمناسبة انتصاره على المغول في معركة مرج الصّفَّر سنة ٧٠٢هـ ، ومطلعها :

وافى على قدرِ ما يَختارُهُ القدَرُ وجاءَ عمّا جَناهُ الدَّهرُ مُعتَذرُ [٢]

---

(١) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، جمع وتحقيق ودراسة ، ص ٢٣ ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي ، ٢٠٠٣ م .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٩١ . وبدر الدين محمود العيني : عقد الجمان في تاريخ الزمان ، ج٤، حوادث وتراجم ٦٩٩ – ٧٠٧ هـ ، ص ٢٧٥ ، حققه ووضع حواشيه دكتور محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٩٢ م .

وعارضها جمال الدين بن عبد الواحد التبريزي قاضي عجلون ، في قصيدة مدح فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولنفس المناسبة أيضا ، يقول :

اللهُ أكبَرُ جاءَ النَّصرُ والظَّفَرُ والحمدُ للهِ هذا كُنْتُ أنتَظرُ [١]

وعارضها شهاب الدين محمود الحلبي في قصيدته التي مدح فيها الملك المنصور قلاوون بمناسبة فتحه حصن المرقب [٢] ، ومطلعها :

اللهُ أكبرُ هذا النَّصرُ والظَّفَرُ هذا هُوَ الفَتحُ لا ما تَزْعَمُ السِّيَرُ [٣]

وعارضها شهاب الدين أحمد الشرمساحي في قصيدته التي يمدح فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ويهنئه برجوعه إلى القاهرة سنة ٧٠٩ هـ ، ومطلعها:

ولّى المُظَفَّرُ لمّا فاتَهُ الظَّفَرُ وناصرُ الدّينِ وافى وهوَ مُنْتصرُ [٤]

---

(١) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٣ ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٣ .

(٢) تمّ فتح حصن المرقب على يد الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٤ هـ ، ينظر تفاصيل ذلك عند ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٧ ، ص ٣١٤ – ٣١٧ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – المؤسسة المصرية العامة – القاهرة ، (د.ت) . وابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٨ ، ص ٢٦٨ – ٢٧١ . والمرقب بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بُلُيناس . : ينظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة " مرقَب" .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص ٣١٧ .

(٤) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ١٩١ . يقصد بالمظفر الملك المظفَّر ركن الدين البرجي الجاشنكير المنصوري ، كان رجلا أبيض البشرة ، أشقر ، راجح العقل ، ورعا تقيا

وقد اتفقت هذه القصائد مع قصيدة الرشيد النابلسي في الوزن الشعري ، إذ إنّها من بحر البسيط ، وفي حرف الروي الراء المضمومة ، وفي الموضوع وهو شعر الفتوحات .

وسأختار نموذجين للدراسة : الأول قصيدة محمد البزّاز المنبجي ، وذلك لأنه أحد شعراء عصره المشهورين ، وله باع طويل في شعر الحماسة والحرب ، وإن كانت الدراسات الأدبية حوله قليلة ، والثاني : قصيدة جمال الدين بن عبد الواحد التبريزي قاضي عجلون ؛ لأنّ قصيدته جاءت معارضة لقصيدة الرشيد بن بدر النابلسي من جهة ، ولقصائد شعراء عصره الذين عارضوا الرشيد النابلسي من جهة أخرى ، فهي نموذج لدراسة المعارضة الخارجية ، والمعارضة الداخلية في آن معا .

أما بالنسبة لقصيدة محمد البزّاز المنبجي ، فيمكن القول إنّ قصيدته تطابقت مع قصيدة الرشيد النابلسي النموذج من حيث الأجزاء ، فكلتا القصيدتين تتحدثان عن الفتح ، وعن البطل الفاتح ، وعن العدو .

فالرشيد النابلسي يتحدث عن عظمة فتح بيت المقدس ، إذ إنّ المسلمين كانوا بانتظاره ، ولأهميته يرى أنّه بمثابة فتوح أتى به الزّمان معتذرا عمّا بدر من تقصير وأخطاء في الماضي ، وهو أعلى من أن يمتدحه الشعراء ، أو يصفه الكتّاب ، ويفضّل الشاعر " هذا الفتح على غيره من الفتوح الأخرى ، فهو فتح قد تسامى محلا

مجتنبا للفواحش ، ملأ الأقطار والأسماع بصيته، وكان أستاذ الدار للملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان سلار النائب ، فحكما في البلاد ، وتصرفا في شؤون العباد ، والسلطان له الاسم فقط ، توفي سنة ٧٠٩هـ . ينظر : صلاح الدين الصفدي : أعيان العصر ، ج٢ ، ص ٧١ – ٧٣ ، تحقيق : د. علي أبو زيد ، د. نبيل أبوعمشة ، د. محمد موعد ، د. محمود سالم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، ١٩٩٨ م .

، وأنار بلاد الإسلام ضياء ، إنّه فتح عظيم حقّا ، يفتخر به المسلمون في سائر أنحاء العالم الإسلامي " [١] ، يقول :

هذا الذي كانَتِ الآمالُ تَنْتَظرُ فَلْيَوْفِ للهِ أقوامٌ بِما نَذروا

هذا الفتوحُ الذي جاءَ الزَّمانُ بِهِ إلَيكَ عَنْ هَفَواتِ الدَّهرِ يَعتَذِرُ

تَجِلُّ عَلياهُ عَنْ مَدحٍ يُحيطُ بِهِ وَصفٌ وَإنْ نَظَمَ المُدّاحُ أو نَثَروا

لا تَروِيَنْ لِفتوحٍ بَعدَها قِصَصاً وَإنْ تَعاظَمَ منها الخُبْرُ وَالخَبَرُ

تَوَضَّحَ الدَّهرُ عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ بِهِ تُزهى وَتَفتَخِرُ الآصالُ والبُكرُ

يَومٌ تَعالى مَحَلا واستَنارَ سَناً فَدونَ مَرْتَبَتَيهِ الأَنْجُمُ الزُّهُرُ

بِمِثلِ ذا الفَتحِ لا وَاللهِ ما حَكِيَتْ في سالِفِ الدَّهرِ أَخبارٌ ولا سِيَرُ [٢]

وكذلك الحال يتحدث محمد البزّاز المنبجي عن الفتح الذي تمّ على يد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك بانتصاره على المغول في معركة مرج الصّفرّ ، فيرى أنّ هذا الفتح جاء ليعتذر عن إخفاقات الفترة الماضية ، وجاء ليكفّر عن ذنوب اقترفها المقصّرون ، ويتحدث عن أهمية هذا الفتح وعظمته ، إذ كان بانتظاره المسلمون ، ولم يضارعه فتح سابق سوى الفتوحات التي قام بها عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – كما يحق للمسلمين الافتخار به ؛ لأنه فتح مميّز، تناقلته ألسن الناس بالحديث عنه ، والإعجاب به ، يقول :

---

(١) د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ، ص ٨٣ ، دار البشير – عمّان ، ١٩٨٩م .

(٢) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٣ – ١٣٥ .

وافى على قَدْرِ ما يَختارُهُ القَدَرُ وجاءَ عَمّا جَناهُ الدَّهرُ مُعتَذِرُ

وَإِنْ أَساءَتْ لَياليهِ التي سَلَفَتْ ظُلْماً فَقَدْ أحسَنَتْ أيّامُهُ الأخَرُ

وَبَعدَ إدراكِكَ الثاراتِ مُنْتَصِراً فَكُلُّ ذَنْبٍ جَناهُ قَبْلُ مُغتَفَرُ

بَشايِرٌ طارَ بالإقبالِ طايِرُها لِمِثلِها كانَتِ الأيّامُ تَنْتَظِرُ

فَتْحٌ على جَبهَةِ الإسلامِ أسعَدَهُ بالجَدِّ والسَّعْدِ والتأييدِ مُنْتَظِرُ

ما شاهَدَ النّاسُ فَتحاً مِثلَهُ أَبَدَاً إلا فُتوحاً تَوَلّى أَمرَها عُمَرُ

سارَتْ بِأَخبارِها الرُّكبانُ واقِعَةً لَمْ تَحْوِ أَمثالَها الأَخبارُ والسِّيَرُ [1]

ومما يلفت النظر أنّ محمد المنبجي جاء مقلدا للرشيد النابلسي ؛ إذ أتى بالمعاني والألفاظ والتراكيب نفسها التي جاء بها الرشيد النابلسي في حديثه عن فتح بيت المقدس ، فقد تطابق حديثهما عن الفتح تطابقا تاما ، وقد أطلق النقاد على هذه الظاهرة النسخ ، يقول ضياء الدين بن الأثير : " أما النسخ فإنه لا يكون إلا في أخذ المعنى واللفظ جميعا ، أو في أخذ المعنى وأكثر اللفظ ، لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب" [2]

ويشيد الرشيد النابلسي بيوم الفتح العظيم الذي تفتخر وتتباهى به الأوقات والأيام ، ففي هذا اليوم هُزم الصليبيون هزيمة نكراء لا قيامة بعدها ، يقول :

تَوَضَحَ الدّهرُ عَن يَومٍ أغرَّ بِهِ تُزهى وتَفتَخرُ الآصالُ والبُكرُ

---

(1) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩١ ، و بدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٥ .

(2) ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج٣ ، ص ٢٣٠ ، قدّمه وعلّق عليه : د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة ، (د.ت).

يَومٌ بِهِ التَأمَ الكفّارُ في عَدَدٍ جَمّ ولكنْ لِكَسرٍ لَيسَ يَنجَبِرُ [١]

أما محمد المنبجي فينادي على اليوم الذي حصلت فيه معركة مرج الصّفر وذلك لعظمته ، ويرى أنّ المعارك التي وقعت في شتّى بقاع الدنيا ، وفي كلّ الأزمنة ، تفتخر بهذه المعركة ؛ لأنّه تمّ الانتصار المؤزّر فيها ، وهزم المغول فيها هزيمة شنعاء ، وفي هذا توافق كبير في اللفظ والمعنى مع الرشيد النابلسي ، يقول محمد المنبجي :

يا وَقعةَ المَرجِ مَرجِ الصُّفّرِ افتَخَرَتْ بِكِ الوَقايِعُ في الآفاقِ والعُصُرِ

رَفَعتِ بالنَّصرِ أعلامَ الهُدى وَلَقَدْ جَرَّدْتِ للشِّرْكِ كَسراً لَيْسَ يَنْجَبِرُ [٢]

وقد تحدث كلا الشاعرين عن أثر الفتح على المسلمين ، فيصور " الرشيد بن بدر النابلسي آثار الفتح القدسي في نفوس المسلمين ، فقد هدأت تلك النفوس واستقرت بعد أن ارتفع علم الإيمان عاليا فوق المسجد الأقصى ، وعادت حرية العبادة إلى سالف عهدها قبل الاحتلال ، وأصبح البيت المقدّس قبلة للمسلمين يقصدونه من كل حدب وصوب ، وزالت آثار الشرك وأهله المحتلين " [٣] ، يقول:

الآنَ قَرَّتْ جُنوبٌ في مضاجِعِها وَنامَ مَنْ لَمْ يَزَلْ حِلقاً لَهُ السَّهَرُ

الآنَ طابَ إلى البَيْتِ المُقَدَّسِ كالـ بَيْتِ المُحَرَّمِ إحرامٌ ومُعْتَمَرُ

يا بَهجَةَ القدسِ أنْ أضحى عَلَمُ الـ إيمانِ مِنْ بَعدِ طَيٍّ وهوَ مُنْتَشِرُ

يا نورَ مَسجِدِهِ الأقصى وقَد رُفِعَتْ بَعدَ الصَّليبِ بِهِ الآيا تُ والسُّوَرُ

---

(١) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٤ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٢ ، وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٦ .

(٣) د. عبد الجليل عبد المهدي : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ، ص ٨٩ .

اللهُ أكبَرُ صَوْتٌ تَقشَعِرُّ لَـهُ شُمُّ الذرى وَتَكادُ الأرضُ تَنفَطرُ [١]

أما محمد المنبجي ، فيذكر أنّ السّمّار تناقلوا خبر انتصار المسلمين في معركة مرج الصّفّر بفرح عمّ نفوسهم جميعا ، كما اطمأنّت به هذه النفوس ، وخفقت قلوب المسلمين سرورا وابتهاجا بهذا النصر، بعد أن كانت تخفق فَرَقا ، يقول :

وفي الليالي إذا عُدَّتْ محاسِنُها أسمارُ في كُلّ نادٍ ذكرُها سَمَرُ

عَمَّ السُّرورُ بها كلَّ النُّفوسِ فَما للنّاسِ في لذةٍ من بَعدِها وَطَرُ [٢]

ويقول أيضا :

قد اشترك الشاعران في الحديث عن البطل الفاتح ، فيصورالرشيد النابلسي صلاح الدين بالقائد القوي، إذ انقضّ على الصليبيين ، وكان بمثابة قضاء مبرم عليهم ، فلم يفلتوا منه ، وأصبحت أرضهم خلاء بعد القتل والفتك بهم بعد أن كانت عامرة بهم ، كما أنّه دمّر دولتهم ، وقتل أبناءهم ، وصادر ملكهم ، يقول :

وَجِئتَهُم مِثلَ ما انقَضّ القَضاءُ فَلا واللهِ لَمْ يُغنِهِمْ بَأسٌ ولا وَزَرُ

تَرَكْتَ أرضَهُمُ مِن طولِ ماعَمَرَتْ مِنهُ بلاقعُ لا أنثى ولا ذكَرُ

سَلَبْتَهُم دَولَةَ الدُّنيا وعيشَتَها حتّى لَقَد ضَجِرَتْ من وَفدِهِم سَقَرُ

هذا الذي سَلَبَ الإفرَنجَ دَولَتَهُم وَمُلكَهُم يا ملوكَ الأَرضِ فاعتَبروا [٣]

---

(١) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩١ – ٩٢ بدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

(٣) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٤ وص ١٣٦ .

وتقابل هذه اللوحة حديث محمد البزّاز المنبجي عن قوة ممدوحه وشجاعته ، إذ واجه الملك الناصر محمد بن قلاوون المغول بجيوش متمرسة في القتال لا طاقة لهم بها ، فأهلكهم بجنوده الشجعان ، وهو القائد الذي يخجل من عزمه السيف ، ويرتعد الأسد خوفا من شجاعته ، كما أنه يثبت في المواقف العسرة ، يقول :

قابَلْتَهُم بِجيوشٍ ما لَهُم قِبَلٌ بِبَأْسِها فَلقَدْ قَلّوا وإنْ كَثُروا

أَفنَيْتَهُم بليوثٍ مِنكَ باسِلَةٍ وهَل تُقاومُ آسادُ الشَّرى الحُمُرُ

يا مُخجِلَ السَّيفِ عَزْمَاً وَهوَ مُنْصَلِتٌ والمُرعبَ اللَّيثِ بَأْسَاً وَهوَمُنتَصِرُ

والثّابتَ الجأشِ والأقدامُ في دَحْضٍ فيهِ التثبُّتُ إلا أنّهُ عَسِرُ [١]

وقد تأثر محمد المنبجي بمعاني الرشيد النابلسي التي وصف بها الفاتح بشكل طفيف ، من ذلك يذكر الرشيد النابلسي أنّ ممدوحه حانٍ على دين الإسلام ، يتحمّل الآلام من أجل إعلاء هذا الدين ، يقول :

بِنَفسِ حانٍ على الإسلامِ مُحتَمِلِ الـ آلامِ لَم يُثنِهِ خَوْفٌ ولا حَذرُ [٢]

وممدوح محمد المنبجي محمد بن قلاوون ، حمى وأنقذ المسلمين في يوم معركة مرج الصّفّر ، يقول محمد المنبجي :

يومٌ تَدارَكَ جَمْعَ المسلمينَ بِهِ مَنْ لَم يَزَلْ في يَدَيهِ النفعُ والضَّرَرُ [٣]

---

(١) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ،ص ٩٢ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٢) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٤ .

(٣) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص٩٢ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٦ .

كما أنّ صلاح الدين الأيوبي أشرف من تفتخر به الأمصار والأملاك ، كما يقول الرشيد النابلسي :

هذا الإمامُ صلاحُ الدّينِ مَنْ بِهِ الممالكُ والأملاكُ تَفتَخرُ [1]

ومحمد بن قلاوون أصبحت دولته المزدهرة تباهي بنفسها دول الأمم السابقة القوية، يقول محمد المنبجي :

يا ناصرَ الدّينِ يا مَنْ حُسنُ دَولتِهِ أمسَتْ على دُول الماضينَ تَفتَخِرُ [2]

وتجدر الإشارة إلى أنّ محمد المنبجي في حديثه عن البطل الفاتح لم يكن مقلّدا للرشيد النابلسي ، وذلك في نقل معانيه وأغلب ألفاظه ، كما كان الحال في حديثه عن الفتح والنصر في معركة مرج الصّفّر ، فلم يدر في فلك الرشيد النابلسي في هذا الجزء ، بل أبدع فيه .

وقيما يخص القسم الثالث وهو الحديث عن العدو ، فقد تحدث الرشيد النابلسي عن العدو الصليبي قبل الفتح ، فذكر أنّهم جاؤوا بأعداد كبيرة ، حتّى غدوا كالجبال الشاهقة ذات المسالك الوعرة ، لكنّ صلاح الدين انقضّ عليهم ، وفرّق شملهم ، وجاؤوا إلى المعركة بقوة كالبحر المتلاطم الأمواج ، لكنّ الجيش الإسلامي صدّهم، يقول :

جاؤوا كما أقبلَ الطوّدُ الأَشمُّ لَهُ مِنْ حَيثُ ما سَرَتْ فيهِ مَسلَكٌ وَعِرُ

وَجِئتَهُم مثلَ ما انقَضَّ القضاءُ فلا واللهِ لَم يُغنِهِمْ بَأسٌ ولا وَزَرُ

([1]) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٦ .

([2]) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٣ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٧ .

مدّوا كما مَدَّ فيَضُ البَحرِ مُلتَطِمِ الـ أمواجِ حتّى إذا قابَلتَهُم جُزِروا (١)

أما بعد الفتح القدسي والانتصار على الصليبيين ، فقد أصبح هؤلاء الغزاة عبرة لغيرهم ، وأصبح النّاس يتحدثون عن هزيمتهم النكراء بعد أن كانوا يشكلون خطرا على غيرهم ، ويطلب الرشيد من ملوك وقادة الممالك الأخرى أن يعتبروا ممّا حلّ بهؤلاء القوم ، يقول :

أضحى بنو الأصفرِ الأنكاسِ مَوعظةً فيها لأعدائكَ الآياتُ والنُّذُرُ

صاروا حديثاً وكانوا قبلُ حادثةً على الوَرى يَتّقيها البَدوُ والحَضَرُ

هذا الذي سَلَبَ الإفرنجَ دَولَتَهُم ومُلكَهم يا ملوكَ الأرضِ فاعتبروا(٢)

وفي القصيدة المعارضة يتحدث محمد المنبجي أيضا عن الغزاة المغول قبل انتصار محمد بن قلاوون عليهم ، فيذكر أنّ هؤلاء الغزاة حشدوا أعدادا كبيرة لقتال المسلمين ، ومن كثرة عددهم أصبحت الأرض بسهولها وجبالها صعبة المسالك ، وقد دفعهم طيشهم وجهالتهم إلى استباحة بلاد المسلمين ، لكنّهم رُدّوا خائبين ، وكان الله لهم بالمرصاد ، فرُدّ حقدهم إلى صدورهم ، يقول :

راموا وقَد حشَدوا غُلْباً فَما غَلَبوا وحاولوا النَّصرَ تَضليلاً فَما نُصروا

وضَيَّقوا الأرضَ مِن سَهلٍ وَمِنْ جَبَلٍ كَأَنَّما هُم جَرادٌ فيـهِ مُنتَشِـرُ

داسوا بلادَكَ لا يَثني أعِنَّتَهُم عَن قَصدِها جَهلُهُم والتّيهُ والبَطَرُ

أتَوا وَقَد مَكَرَ اللهُ العزيزُ بِهِم فَرَدَّ طُغيانَهُم بالغَيظِ إذ مَكَروا (١)

---

(١) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

أمّا بعد اندلاع المعركة ، فقد أصبح هؤلاء المغول عبرة لغيرهم ، بعد أن حالفهم الحظ في الماضي فانتصروا ، فظنّوا أنّ كل أيامهم انتصارات ، لكنّ دماءهم سالت كجداول الماء في ميدان القتال ، وأصبحت أجسادهم حطبا تلتهمه نار الحرب ، بل دارت عليهم رحى الحرب فأفنتهم ، أما الذين هربوا من ميدان القتال فضاقت عليهم الأرض من شدّة ذعرهم ، واستسلموا صاغرين بعد أن وقعوا أسرى بأعداد كبيرة في أيدي المسلمين ، يقول :

غرَّتهُمُ فَلتَةٌ في الدَّهرِ عَنْ غَلَطٍ مِنها فَحَلَّتْ بِهِم مِن بَعدِها العِبَرُ

وأمَّلوا أنّها مثلُ التي ذَهَبَتْ فَعَوَّدوا وَدِماهُم في الفَلا غُدُرُ

أَوقَدْتَ نيرانَ حَرْبٍ أصبحوا حَطَبَاً للجَمْرِ مِنها لَها شَوكُ القَنا شَرَرُ

دارَتْ عَلَيهِم رَحاءُ المَوتِ فانهَزَموا فَما لَهُم بَعدَها عَينٌ ولا أَثَرُ

وَضاقَتِ الأرضُ مُذ ولّوا بما رَحُبَتْ عَلَيهمُ فَهُمُ بالخَوفِ قَد حُصروا

وألبِسوا الذلَّ حتّى إنَّ أشجَعَهُم يأتي إليكَ بِألفٍ مِنهُمُ نَفروا [٢]

وبعد تحليل أبيات لوحة العدو عند محمد المنبجي يتبيّن أنّ تأثره بالرشيد النابلسي بدا طفيفا في المعاني والألفاظ ، وإن تشابه الشاعران في الحديث عن قوة جيش الأعداء وكثرة عددهم ، قبل اندلاع المعركة، وضعفهم وكسر شوكتهم ، ومصيرهم السّيء بعد انتهاء المعركة .

---

(١) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٢ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٢ – ٩٣ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

أما قصيدة جمال الدين بن عبد الواحد التبريزي قاضي عجلون ، فعدد أبياتها مئة وأربعة عشر بيتا ، لم يقتصر حديثه فيها عن الفتح والبطل الفاتح والعدو ، بل أضاف إليها وصف جيش المسلمين ، وتحريض المسلمين على قتال الأعداء والانتقام منهم ، وامتداح الخليفة المستكفي بالله ، والسلطان محمد بن قلاوون معا.

أمّا فيما يتعلق بموضوع فتح شقحب (معركة مرج الصّفّر) ، فبدا تأثرقاضي عجلون بالرشيد النابلسي طفيفا ، لكن اشترك معه بالشعور بنشوة النصر ، فيكبّر ويحمد الله على هذا النصر المؤزر ، الذي طال انتظاره له ، وعزاه لقدر الله تعالى، الذي يهون عليه كل أمر صعب ، يقول :

اللهُ أكبرُ جاءَ النَّصرُ والظَّفَرُ والحَمدُ للهِ هذا كُنْتُ أنتظرُ

وأبرَزَ القَدَرَ المَحتومَ بارئُـهُ سُبحانَهُ بيَدَيهِ النَّفعُ والضّرَرُ

وهَوَّنَ الصَّعبَ بالفَتحِ المبينِ لَكُم رَبٌّ يَهونُ عليهِ المُقفَلُ العَسِرُ

وَلَم تَزَلْ شِرْعَةُ الإسلامِ ظاهرةً اجزمْ بهِ فبهذا صُحِّحَ الخَبَرُ [١]

وتحدّث قاضي عجلون عن أثر فتح شقحب مخاطبا المسلمين :

كَم قَد سَهِرتُم دُجىً مِن خَوفهِم حَذراً فالآنَ ناموا فَلا خَوفٌ ولا حَذَرُ [٢]

متأثرا بالمعنى الذي قدّمه الرشيد في قوله :

الآنَ قَرَّتْ جُنوبٌ في مضاجعِها ونامَ مَنْ لَمْ يَزَلْ حِلقاً لَهُ السَّهَرُ [٣]

([١]) المصدران السابقان ، ص ٩٣ – ٩٤ ، و ص ٢٧٣.

([٢]) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٥.

([٣]) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٥

وتجدر الإشارة إلى أنّ قاضي عجلون كان يعارض قصيدة الرشيد النابلسي ، وقصائد الشعراء الذين سبقوه بمعارضة قصيدة الرشيد ، لذا نراه ينقل إلى مطلع قصيدته أغلب ألفاظ مطلع قصيدة شهاب الدين محمود الحلبي ، ومعنى المطلع أيضا ، يقول الشهاب الحلبي في المطلع :

اللهُ أكبرُ هذا النّصرُ والظفَرُ هذا هُوَ الفَتحُ لا ما تَزعَمُ السِّيَرُ [١]

وفي البيت الثاني من أبيات جمال الدين التبريزي السابقة ، نراه ينقل بعض ألفاظ محمد المنبجي في قوله :

يَومٌ تَدارَكَ جَمْعَ المسلمينَ بِـهِ مَنْ لَم يَزَلْ في يَديهِ النّفعُ والضَّرَرُ [٢]

وتتداخل قصيدتا الرشيد النابلسي ومحمد المنبجي في قصيدة قاضي عجلون ، ناقلا ألفاظهما ومعانيهما في حديثه عن العدو المغولي ، من ذلك يصور الرشيد النابلسي انقضاض صلاح الدين على الصليبيين، وعدم استطاعتهم الدفاع عن أنفسهم فلا مفر أمامهم منه ، يقول :

وَجِئتَهُم مثلَ ما انقَضَّ القضاءُ فلا واللهِ لَمْ يُغنِهِم بَأسٌ ولا وَزَرُ [٣]

فيتأثر به قاضي عجلون جمال الدين التبريزي في حديثه عن مصير المغول ، يقول:

أينَ المَفَرُّ وقَد حامَ الحِمامُ بِهِم هيهاتَ لا مَلجَأٌ يُرجى ولا وَزَرُ [٤]

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص٣١٧

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٢ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٦.

(٣) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٤.

(٤) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٥.

وهؤلاء الصليبيون تقدّموا نحوجيش صلاح الدين كالبحر المتلاطم الأمواج ، إلا أنّ البطل صلاح الدين ردّهم على أعقابهم ، كما يقول الرشيد النابلسي :

مدّوا كما مَدَّ فيضُ البحرِ مُلتَطمِ الـ أمواجِ حتّى إذا قابَلتَهُم جُزروا[١]

فيتأثر به قاضي عجلون ، ولكن بقلب جزء من معنى الصورة ، وذلك بتصوير جيش المسلمين بالبحر الهائج نحو المغول ، أما المغول هؤلاء فانحسروا هاربين من المسلمين ، يقول :

حتّى إذا عَبَّ مِثلَ البحرِ جَحفلُنا ومَدَّ فَيضاً على أعدائنا جُزروا [٢]

ومن تأثر قاضي عجلون بقصيدة محمد المنبجي ، يذكر محمد المنبجي أنّ المسلمين أفنوا المغول ، فلا تجد لهم أثرا يدل عليهم بعد المعركة ، يقول :

دارَتْ عَليهم رحاءُ المَوتِ فانهَزَموا فَما لَهُم بَعدَها عَينٌ ولا أثَرُ [٣]

فيأتي جمال الدين التبريزي قاضي عجلون بالمعنى والتركيب ذاته متحدثا عن مصير المغول :

وافى بِهِم أَجَلٌ يَمشي عَلى مَهَلٍ حتّى مَحاهُم فَلا عَينٌ وَلا أَثَر[٤]

كما اشترك قاضي عجلون مع محمد المنبجي في وصف المقاتلين المسلمين بالأسود، ومقاتلي المغول بالفرائس التي لا تقوى على مواجهة الأسود ، يقول محمد المنبجي :

أَفنَيتَهُم بِليوثٍ مِنكَ باسلـةٍ وهَل تُقاومُ آسادَ الشَّرى الحُمُرُ[١]

---

(١) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٤ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص٩٦ .

ويقول قاضي عجلون :

لَمْ يَنفِروا خِيفَةً مِنْ كُلِّ قَسْوَرَةٍ وَفَرَّ جَمعُهُمُ إلا وّهُم حُمُرُ [٢]

ويشترك جمال الدين التبريزي قاضي عجلون مع محمد المنبجي أيضا في التقليل من شأن كثرة أعداد المغول ، يقول المنبجي :

قابَلْتَهُم بجيوشٍ ما لَهُم قِبَلٌ ببَأسِها فَلَقَد قَلّوا وإن كثروا[٣]

ويقول قاضي عجلون :

فَخُذْ عَزاءَكَ فيهم إنَّهم أمَمٌ هُمُ اللّعاوسُ[٤] إن قلّوا وإنْ كثروا [٥]

كما تأثر كلا الشاعرين جمال الدين بن عبد الواحد التبريزي قاضي عجلون ، ومحمد المنبجي بشهاب الدين محمود الحلبي ، وذلك في قصيدته التي نظمها في مدح المنصور قلاوون بمناسبة فتحه حصن المرقب ، والتي عارض فيها الرشيد النابلسي ، إذ ذكر الشهاب الحلبي أنّ نار الحرب اشتعلت ، وأخذ الشرر يتطاير من السيوف والرّماح ، يقول :

وأضرِمَتْ حَولَهُ نارٌ لَها لَهَبٌ مِنَ السّيوفِ وَمنْ نَبْلِ الوَغى شَرَرُ [٦]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٢ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٦ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٦ .

(٣) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٢ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص٢٧٦ .

(٤) بمعنى الذئاب ، ينظر : لسان العرب ، مادة (لعس).

(٥) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص٩٦ .

(٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ٣١٨ .

فيأتي المنبجي من بعده ليذكر اشتعال نيران الحرب ، وتطاير شرر النّار من الرّماح، يقول :

أَوقَدْتَ نيرانَ حَرْبٍ أَصبحوا حَطَبَاً لِلجَمْرِ مِنها لَها شَوكُ القنا شَرَرُ [١]

أما قاضي عجلون ، فيذكر أنّ السيوف ملتهبة ، يتطاير شرر النار منها لتحرق الأعداء ، يقول :

وَأَحرَقتهُم سِراعاً كُلُّ صاعقةٍ منَ السّيوفِ بنيرانٍ لها شَرَرُ [٢]

ويكشف الدرس التحليلي أنّ قاضي عجلون نقل بعض ألفاظ وتراكيب قصيدة الرشيد النابلسي من معانيها إلى معان أخرى ووظّفها في قصيدته ، من ذلك أنّ الرّشيد النابلسي يطلب من المخاطب أن لا يتحدث عن فتوح تأتي بعد فتح بيت المقدس ، وإن كانت هذه الفتوح ذات أخبار عظيمة ، يقول :

لا تَرويَنْ لفتوحٍ بَعدها قصصاً وإنْ تَعاظَمَ منها الخُبرُ والخَبَرُ [٣]

لكنّ قاضي عجلون يذكر أنّ المغول بعد المعركة أهلكوا ، فلا علم لأحد بهم ، ولا أنباء عنهم ، يقول :

نادى بِهم صارخٌ أغرى الفناءَ بهم فإن سأَلْتَ فلا خُبْرٌ ولا خَبَرُ [٤]

---

(١) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص٩٣ . وبدر الدين العيني : عقد الجمان ، ج٤ ، ص ٢٧٧ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص٩٥ .

(٣) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٣ .

(٤) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٥

وإذا كادت الأرض تتشقق خشوعا لصوت الأذان بعد فتح بيت المقدس ، كما يقول الرشيد النابلسي :

اللهُ أكبرُ صَوْتٌ تَقشَعِرُّ لَهُ شُمُّ الذُّرى وَتكادُ الأرضُ تَنفَطرُ [١]

فإنّ جمال الدين التبريزي قاضي عجلون يرى أنّ أكباد الناس تكاد تتشقق من شدّة أوجاع قلبه لما فعله المغول بالناس ، يقول :

لَهُم حَزازاتُ في قلبي مُخَبّأةٌ تَكادُ من حَرّها الأكبادُ تَنفَطِرُ [٢]

وإذا كان فتح بيت المقدس من العظمة لدرجة أنه لم يحصل فتح في التاريخ الماضي ولا في سير العظماء يشابهه ، كما يقول الرشيد النابلسي :

بِمِثلِ ذا الفَتحِ لا وَاللهِ ما حَكَيتْ في سالِفِ الدَّهرِ أخبارٌ ولا سِيَرُ [٣]

فإنّ قاضي عجلون من خلال تحريضه المسلمين على التتار ، يطلب منهم أن يقوموا بأعمال جليلة تُخلّد ويتناقلها الناس ، وتتحدث عنها حوادث التاريخ والسّير العظيمة ، يقول :

وخلّدوا في المعالي ما نُعَنعِنُهُ عَنكُم وتُروى بهِ الأَخبارُ والسِّيَرُ [٤]

وتحدّث الرشيد النابلسي عن أثر الفتح ، وبيّن أنّ النّاس بعد فتح بيت المقدس هدأت ونامت ، ونام واطمأنّ من كانت حالته على الدوام سهر الليالي ، وذلك خوفا من الصليبيين وأفعالهم ، يقول :

---

(١) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٧ .

(٣) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٥ .

(٤) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٨ .

الآنَ قَرَّتْ جُنوبٌ في مَضاجِعِها وَنامَ مَنْ لَم يَزَلْ حِلقّاً لَهُ السَّهَرُ [١]

فحوّل قاضي عجلون بعض ألفاظ هذا البيت إلى معنى آخر ، وذلك حين تحدّث عن سهر جنود المسلمين دفاعا عن دين الله ، في حين كان الآخرون ينامون ، يقول :

وَأسهَروا أَعيُناً في اللهِ ما رَقَدَتْ أَكرِمْ بقَومٍ إذا نامَ الوَرى سَهِروا [٢]

وتجد الإشارة إلى أنّ قاضي عجلون لم يكتف بمحاور قصيدة الرشيد النابلسي الثلاثة : الفتح والفاتح والعدو ، كما اكتفى بها محمد البزّاز المنبجي من قبله ، إنّما أضاف أجزاء جديدة إلى قصيدته لم يتحدث عنها من قبله الرشيد النابلسي ولا محمد المنبجي ، وهذه الأجزاء هي :

- حديثه عن الجيش المسلم : إذ يذكر قاضي عجلون أنّ الملائكة كانت تصحب هذا الجيش ، وكانت تلهج بالدعاء وذكر الله بصوت رفيع عال ، ويصف هؤلاء الجنود الذين خرجوا من مصر بأنّهم يدافعون عن دين الله ، وينفقون في سبيل الله ، ويتحدث عن جلدهم في المعارك ، وعن إغاثتهم وإيوائهم ونصرهم لأهل الحق ، وإنّهم هجروا لذائذ الحياة ، وتوجهوا لنصرة دين الله ، يقول :

وأَقبَلَ العَسكَرُ المَنصورُ يَقدُمُهُ مِنَ المَلايِكِ جُنْدٌ لَيسَ تَنْحَصِرُ

وَقَد أحَفوّا بِهِ والأرضُ مِنْ زَجَلٍ تَرتَجُّ إنْ سَبَّحوا للهِ أو ذكروا

كنانَةُ اللهِ مصرٌ جُندُها ثَبَتٌ لا رَيبَ فيهِ وَجُندُ اللهِ تَنتَصِرُ

للهِ كَم دُيِّنوا في نَصرِ دينِهِمُ وَأنفَقوا في سبيلِ اللهِ ما ادّخروا

صانوا الجيادَ وسَنّوا كُلَّ ذي شَطَبٍ وَجُدِّدَتْ لِلقِسِيِّ النَّبْلُ وَالوَتَرُ

---

(١) د. مشهور الحبازي : شعر الرشيد النابلسي ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٤ .

حَماهُمُ اللهُ كَم حاموا وكَم مَنعوا وَكَم أغاثوا وَكَم آوَوا وَكَم نَصَروا

وَخَلّفوا خَلفَهُم لَذّ اتِ أنفُسِهِم وَهاجروا وَلذيذُ العَيشِ قَد هَجَروا [١]

– تحريض المسلمين على قتال الأرمن الذين تحالفوا مع المغول والانتقام منهم ، وفي هذا الجزء من القصيدة يدعو الشاعر " المسلمين إلى مجابهة الأرمن وأخذ الثأر من أولئك القوم ، الذين كانوا حلفا قاسيا من أحلاف المغول ، ..... وقد بدأ الشاعر أبياته داعيا إلى غزو عاصمتهم سيس[٢] لأخذ الثأر من أهلها " [٣]

ويتساءل الشاعر مستنكرا ، وموجها خطابه للمسلمين في الوقت ذاته : كيف تنامون الليل بسكينة وهدوء ، وهؤلاء القوم لا ينامون وهم يفكرون في نصب المكيدة لكم وإيذائكم ، ولمزيد من استثارتهم يقول لهم : إن كنتم تغارون على أعراضكم ونسائكم انتقموا من هؤلاء القوم ، يقول :

هبّوا إلى سيسَ مِن أحلامِ رَقدَتِكُم وَسارعوا في طِلابِ الثّأرِ وابتَدروا

أَيَرقُدُ اللَّيلَ في أَمنٍ وفي دَعَةٍ عَن كَيدِ قَومٍ لَهُم في شأنِكُم سَهَرُ

إن تَترُكوهُم فَإنَّ القَومَ ما تَرَكوا يَوْمَاً عَلَيكُم وَلا أبقوَا ولَم يَذروا

اشفوا صدورَكُمُ إنْ كُنتُمُ غُيُراً على نِسائِكُمُ يا قَومُ وادّكروا [٤]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٢) سيس أو سيسية : من أعظم مدن الثّغور الشامية بين أنطاكية وطرطوس ، وبها كان مسكن السلطان الأرمني . ينظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مادة " سيسية "

(٣) رائد مصطفى حسن عبد الرحيم : صورة المغول في الشعر العربي – العصر المملوكي ، ص ١١٠ .

(٤) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٦ – ٩٧ .

ولمزيد من التحريض على الأعداء ، فإنّ قاضي عجلون يذكّر المسلمين بجرائم هؤلاء الأعداء ، فيذكر لهم أنّ هؤلاء الأرمن أسروا الشيوخ الكبار، والرّجال والفتيات الجميلات ، والأبكار والنساء ، وقتلوا الرّضع من الأطفال ، وحوّلوا الديار العامرة إلى منازل خربة ، وأراقوا الدّماء ، وهتكوا الأعراض ، وحرقوا وخرّبوا ، يقول :

كَم مِن عَجوزٍ وَمِن شَيخٍ وَمُكتَهلٍ وَمِن فَتاةٍ نَماها الحُسنُ والخَفَرُ

بَيضاءَ خُرعوبَةٍ [١] بِكْرٍ مُحَجَّبَةٍ لا الشَّمسُ تَنظُرُها صَوْناً وَلا القَمَرُ

وَذاتِ بَعْلٍ مُخَبّأةٍ مُخَدَّرَةٍ مِن دونِها تُضرَبُ الأَستارُ قَدْ أَسَروا

وَمُطفِلٍ أَثكَلوا وَجْدا بواحِدِها وَحامِلٍ أَخمَصَتْ جوْعاً وَقَد ذُكروا

وَمَرْبَعٍ أَقفَرٍ مِنْ بَعدِ ساكِنِـهِ وَعِقْدِ شَملٍ نَظيمٍ جامعٍ نَثَروا

وَكَم أراقوا وَكم ساقوا وَكَم هَتَكوا وَكَم تَمَلّوا بما نالوا وَكَم فَجَروا

وَحَرَّقوا في نَواحيها فَوا حَرْبـا وَخَرَّبوا الشّامخَ العالي وَكَم دَثروا [٢]

- مدح الخليفة والسلطان .

هذا هو الجزء الأخير من القصيدة ، إذ مدح الشاعر الخليفة المستكفي بالله ، والسلطان محمد بن قلاوون معا ، ثمّ خصّص أبياتا لمدح الخليفة فقط ، وبعد ذلك خصّص أبياتا أخرى لمدح محمد بن قلاوون .

---

(١) الخرعوبة : الشابة النّاعمة الممشوقة القوام ، رقيقة العظم ، كثيرة اللحم . ينظر : لسان العرب ، مادة" خرعب " .

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٧ .

وفي مدحه الخليفة والسلطان ، ذكر أنّهما ملجأ للمسلمين من كل مصيبة ، ووصفهما بالحلم والعدل ، وشبههما بموسى بن عمران وبالخضر عليهما السلام ، وذكر أنهما من أصحاب العفة والتقى والسمعة الطيبة ، يقول :

هما مَلاذَكُمُ في كلِّ نايِبَـةٍ بالرّوحِ أفديهما والّسَمعِ وَالبَصرَِ

لمّا تأمّلْتُ فَحوى سِرِّ حِلْمِهِما لَم أَدرِ أَيُّهُما في عَدلِهِ عُمَـرُ

وَلَو رَأيتَهُما يَوْمَاً لَخالـكَ أنْ موسى بنُ عمرانَ قَد وافاكَ وَالخَضِرُ

هُما رَضيعا لَبانِ عِفّةٍ وَتُقَىً وَ حُسنُ ذِكرٍ شَذاهُ فائِحٌ عَطِـرُ [1]

وتجدر الإشارة إلى أنَّ قاضي عجلون لم يتحدث عن محمد بن قلاوون كفاتح بطل ، كما تحدث عنه محمد البزّاز المنبجي ، وكما تحدث الرشيد النابلسي عن صلاح الدين الأيوبي ، وإنّما امتدحه كسلطان وكملك ذي أبهة وهيبة بين ملوك زمانه ، وصاحب ملك عريض ، يقول :

مَلِكٌ أُعيدَ بِهِ عَصرُ الشَّبابِ لَكُم مُستَورَداً صافياً واستُوفقَ العُمُرُ

تَرى المُلوكَ صفوفاً حَولَهُ زُمَراً مِن فَرطِ هَيبَتِهِ لا يَرجعُ البَصرُ

فَالشّامُ وافاهُ مَعْ بَغدادَ في قرَنٍ وَمِصرُ في مُلكِهِ والبَرُّ والبَحرُ

والعُرْبُ والعُجْمُ في مَيمونِ قَبضَتِهِ وَمِن سُطى بَأسِهِ قَد حارَتِ النّتَرُ [2]

وهكذا فإنّ قاضي عجلون في معارضته قصيدة الرشيد بن بدر النابلسي، وقصيدة محمد المنبجي، تأثر بهما من ناحية، واستطاع أن يضيف معاني جديدة مبتكرة،وأجزاء جديدة لقصيدته من ناحية أخرى، ويكون بذلك قد أبدع في معارضته

([1]) ابن أيبك الدواداري : كنز الدّرر ، ج٩ ، ص ٩٨ – ٩٩ .

([2]) المصدر السابق ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

هذه؛ لأنه لم يحصر نفسه بالنص النموذج،ولم يبق أسير النّص النموذج، يدور في فلكه.

كما أنه تناص مع شعراء آخرين في هذه المعارضة ، ففي حديثه عن المغول يسخر منهم ومن تنجيمهم، وممّا كانوا يخططون لأذية المسلمين ؛ لأنّ الله فضح أمرهم ، وبيّن كذبهم ، ونصر المسلمين عليهم ، يقول :

أينَ النُّجومُ وتأثيرُ القِران [١] وَما تَخَرَّصوا فيهِ مِن إفكٍ وَما زَجَروا

قَدْ دَبَّرَ اللهُ أَمرا غَيرَ أمرِهِمُ وَخابَ ما زَخرَفوا فينا وَما هَجَروا [٢]

وهذا تأثر واضح بأبي تمّام الذي هزئ بمنجمي الرّوم ، الذين تنبّأوا بعدم فتح مدينةعمورية قبل حلول الصيف ، وبيّن أنّ كلامهم كذب ومحض افتراء عندما فتحها الخليفة العباسي المعتصم قبل ذلك الوقت ، يقول :

أينَ الرّوايةُ بَل أينَ النُّجومُ وما صاغوهُ مِن زُخرُفٍ فيها وَمِن كَذِبِ

تَخَرُّصاً وأَحاديثاً مُلَفَّقَةً لَيسَتْ بِنَبعٍ إذا عُدَّتْ وَلا غَرَبِ [٣]

وفي مدحه الخليفة ، يذكر شهرته بين النّاس ، وفي كلّ الأماكن المقدسة ، فيقول :

أبو الرّبيعِ سُلَيمانُ الذي شَهِدَتْ بِفَضلِهِ المُستقامِ البَدوُ وَالحَضَرُ

وَزَمزَمٌ والصّفا والمَأزمانِ مَعًا والبَيْتُ يَعرِفُهُ وَالحِجرُ والحَجَرُ [١]

---

(١) أو الاقتران : إذا كان جرمان في جهة واحدة من السماء ، أي كانا على طول واحد . ينظر :أمين فهد المعلوف: المعجم الفلكي ، ص ٤٢ ، مطبعة الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

(٢) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٤ .

(٣) أبو تمام : شرح ديوانه ، ج١ ، ص ٣٣ .

وفي هذا تناص مع الفرزدق ، حينما مدح زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وذلك حين كان يطوف بالكعبة ، وذلك في قوله :

هذا الذي تَعرفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ والبَيْتُ يَعرفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ [٢]

وهكذا فإنّ جمال الدين بن عبد الواحد التبريزي قاضي عجلون ، قد اختزن في ذاكرته عدّة نصوص شعرية ، وكانت حاضرة في ذهنه لحظة نظمه هذه القصيدة ، فقد أوضحت كيف تداخلت قصيدتا الرشيد النابلسي ومحمد المنبجي في قصيدة قاضي عجلون ، كما بدا تأثره جليا بقصيدة شهاب الدين محمود الحلبي ، وانتهى به المطاف بتناصه مع أبي تمّام والفرزدق .

فالنص – من هذا السبيل – هو عدد من نصوص ممتدة في مخزون ذاكرة مبدعة ، ومن ثمّ فهو

- النّص – ليس انعكاسا لخارجه أو مرآة لقائله ، وإنّما فاعلية المخزون التذكري لنصوص مختلفة هي التي تشكل حقل التناص ومن ثم فالنص بلا حدود ، فأي نص تتوافد على منشئه كتابات سابقة – ومعاصرة – وتترافد عليه أنسقة وبنيات تتزاحم وتتحاشد من نصوص سالفة أو محايثة " . [٣]

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المطبوعة :

---

(١) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج٩ ، ص ٩٩ . والحِجر: المقصود به حِجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت من جهة الشمال . والحَجَر : المقصود به الحجر الأسود . ينظر : لسان العرب ، مادة (حَجَر) .

(٢) الفرزدق : شرح ديوان الفرزدق ، ج٢ ، ص ٣٥٣ ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها : إيليّا حاوي ، الطبعة الأولى دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣ م

(٣) د. رجاء عيد : القول الشعري منظورات معاصرة ، ص ٢٢٥ ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، (د.ت) .

١- ابن الأثير(ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدّمه وعلّق عليه د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة ، . (د.ت) .

٢- ابن أيبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله) : * كنز الدّرر وجامع الغرر ، الجزء الثامن ، وهو الدّرة الزّكية في أخبار الدولة التركية ، تحقيق أولرخ هارمان ، مصادر تاريخ مصر الإسلامية ، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

*كنزالدّرر وجامع الغرر ، الجزء التاسع ، وهو الدّر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مصادر تاريخ مصر الإسلامية ، يصدرها قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار ، القاهرة، ١٩٦٠ م.

٣- بدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥هـ) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان ، عصر سلاطين المماليك ، الجزء الرابع ، حوادث وتراجم ٦٩٩ – ٧٠٧ هـ ، ١٢٩٩ – ١٣٠٧ م ، حقّقه ووضع حواشيه دكتور محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٩٢ م .

٤- ابن تغري بردي الأتابكي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء السابع ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – القاهرة ، (د.ت) .

٥- أبوتمام : شرح ديوانه للخطيب التبريزي ، الجزء الأول ، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥ م .

٦ – الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، المجلد الرابع عشر ، (٦٣١ – ٦٦٠هـ) ، حققه

وضبط نصه وعلّق عليه الدكتور بشّار عوّاد معروف ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .

٧- ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن الأزدي) (ت ٤٥٦هـ) : قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، تحقيق د. منيف موسى ، الطبعة الأولى ، دار الفكر اللبناني – بيروت ، ١٩٩١ م .

٨- ابن شاكر الكتبي (محمد) : فوات الوفيات والذيل عليها ، المجلد الأول ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .

٩- صلاح الدين الصفدي (خليل بن أيبك) :

* أعيان العصر، تحقيق د. علي أبو زيد ، د. نبيل أبو عمشة ، د. محمد موعد ، د. محمود سالم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ودار الفكر ، دمشق – سورية .

* الوافي بالوفيات ، الجزء الثالث عشر ، باعتناء محمد الحجيري ، الطبعة الثانية ، يطلب من دار النشر فرانز شتايز شتوتغارت ، ١٩٩١ م .

١٠- ابن العماد الحنبلي (شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي)(ت١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، حققه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ١٩٩٢م .

١١- أبو فراس الحمداني : ديوانه ، قدّم له وبوّبه وشرحه الدكتور علي بو ملحم ، الطبعة الأولى ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

١٢- الفرزدق : ديوانه ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها : إيليّا حاوي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣ م .

١٣- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر) (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، دار الفكر العربي – الجيزة ، ١٩٣٣ م .

١٤- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب ، نسّقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي شيري ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٢ م .

١٥- ياقوت الحموي (أبو عبدالله بن عبد الله الرومي البغدادي) : معجم البلدان ،الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان، ١٩٩٧ م.

ثانيا :المراجع الحديثة :

١- أمين فهد المعلوف : المعجم الفلكي ، مطبعة الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

٢- خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة الحادية عشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

٣- رجاء عيد (الدكتور): القول الشعري منظورات معاصرة ، منشأة المعارف – الإسكندرية – (د.ت) .

٤- رينهارت دوزي : تكملة المعاجم العربية ، ترجمة محمد سليم النعيمي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ م .

٥- عبد الجليل عبد المهدي(الدكتور) : بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ، دار البشير – عمّان ، ١٩٨٩ م .

٦- عبد الله التطاوي (الدكتور) : المعارضات الشعرية أنماط وتجارب ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

٧- محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر – بيروت ،ودار الفكر – دمشق ، ١٩٩٠ م .

٨- محمد علي الهرفي (الدكتور) : شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٩- مشهور الحبازي (الدكتور) : شعر الرشيد النابلسي ، جمع وتحقيق ودراسة ، الطبعة الأولى،

المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي ، ٢٠٠٣ م .

الرسائل الجامعية :

– رائد مصطفى حسن عبد الرحيم : صورة المغول في الشعر العربي – العصر المملوكي ، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الآداب – قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية – عمّان ، ١٩٨٧ م .

الأبحاث :

١– رائد عبد الرحيم (الدكتور) : صدى فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ في الشعر العربي، إربد للبحوث والدراسات ، مجلة علمية تصدر عن عمادة البحث العلمي في جامعة إربد الأهلية ، المجلد السادس ، العدد الأول ، إربد – الأردن ، ٢٠٠٣م.

٢– عبد القادر أبو شريفة (الدكتور) : صورة البطل المسلم في شعر الحروب الصليبية ، البلقاء للبحوث والدراسات ، المجلد الأول ، العدد الأول ، ١٩٩١م. ص ٤١ – ٧٢ .